من الآيات الدالة على التواضع في القرآن الكريم دراسة تحليلية في ضوء علم اللغة الاجتماعي

إعداد الدكتورة

رحاب خيري السيد محمد

أستاذ مساعد بقسم أصول اللغة

كلية الدراسات الإسلامية والعربية بنات

القاهرة، جامعة الأزهر

من الآيات الدالة على التواضع في القرآن الكريم دراسة تحليلية في ضوء علم اللغة الاجتماعي

رحاب خيري السيد محمد

قسم أصول اللغة، كلية الدراسات الإسلامية والعربية بنات القاهرة، جامعة الأزهر، جمهورية مصر العربية.

البريد **الإلكتروني rehabkhairy.57@azhar.edu.eg**

الملخص:

الملخص: يهدف البحث إلى دراسة آيات من الآيات الدالة على التواضع في القرآن الكريم دراسة تحليلية في ضوء علم اللغة الاجتماعي، وذلك من خلال التحليل اللغوي للآيات مجال البحث وبيان ما اشتملت عليه من وحدات صوتية وصرفية وتركيبية وما لها من دلالات اجتماعية لها قيمة تأثيرية في أفراد المجتمع، واتبع البحث المنهج الوصفي التحليلي، وقد كان من أهم نتائج البحث: الخطاب القرآني جاء عاما لكل المجتمعات البشرية، وهو خطاب مؤثر في العقول، يمس شغاف القلوب، يبين لها العقيدة الصحيحة، والأخلاق الحسنة ومنها خلق التواضع. كما انبثقت من الآيات الدالة على التواضع الكثير من الدلالات الاجتماعية التي بينها البحث ومنها: النبي– صلى الله عليه وسلم – القدوة والمثل الأعلى للبشر جميعا في تواضعه للمؤمنين، – الأقربون أولى بالدعوة إلى معالي الأخلاق، حث النشء الصغير على حفظ القرآن الكريم، بيان مايجب على الدعاة من التحلى به من مكارم الأخلاق، عِظم الإحسان إلى الوالدين والتواضع لهما واللين والرفق معهما قولا وفعلا، غرس خلق التواضع في نفوس الأبناء. كما بيَّن البحث أهمية اللغة غير اللفظية –الحركات الإشارية أو الجسمية – وما لها من دور فاعل في

إيصال المعنى الاجتماعي (التواضع ولين الجانب)، كما بيَّن البحث أثر تنوع الوحدات التركيبية في السياق القرآني وما تحمله من دلالات نفسية واجتماعية.

الكلمات المفتاحية: الآيات، الدالة، التواضع، القرآن الكريم، علم اللغة الاجتماعي

Verses Indicating Humility in the Holy Quran: An Analytical Study in Light of Sociolinguistics

Rehab Khairy El-Sayed Mohamed

Department of Language Fundamentals, Faculty of Islamic and Arabic Studies for Girls, Cairo, Al-Azhar University, Egypt

Email:rehabkhairy.57@azhar.edu.eg

Abstract

This study aims to analyze selected Quranic verses that indicate humility, using a sociolinguistic approach. The research conducts a linguistic analysis of the chosen verses, examining their phonetic, morphological, and syntactic components, along with their social implications and their impact on individuals in society. The study follows descriptive-analytical methodology. One of the key findings is that the Quranic discourse is universal, addressing all human societies. It is a powerful and thought-provoking discourse that touches the hearts, guides people towards the true creed, and promotes noble morals, including humility. The study also highlights various social meanings derived from these verses, such as:The Prophet Muhammad (peace be upon him) serves as the ultimate role model for humility among believers.Close relatives should be prioritized in the call to uphold high moral values.Encouraging young children to memorize the Quran.The necessity for preachers to embody noble ethics.The great importance of kindness towards parents, showing humility, gentleness, and compassion in both speech and actions.Instilling humility in the hearts of children.Additionally, the study emphasizes the role of non-

verbal language—such as gestures and body language—in effectively conveying social meanings like humility and gentleness. It also explores how the diversity of syntactic structures in Quranic contexts carries psychological and social connotations.

Keywords: Verses, Indicating, Humility, The Holy Quran, Sociolinguistics

مقدمة:

الحمد لله حمد الشاكرين، الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد

فقد أمرنا الدين الإسلامي بالتمسك بالأخلاق الحميدة، ومن هذه الأخلاق الحميدة خلق التواضع، هذا الخلق الذي يبعث على الألفة والمودة والأخوة والتلاحم المجتمعي، وأشار إلى ذلك النبي – صلى الله عليه وسلم – في قوله " لايدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كِبر "[1]وقوله: (إنَّ الله أوحى إليَّ أن تَواضَعوا حتى لا يَفْخَر أحد على أحد، ولا يَبغِي أحد على أحد)[2]، وقوله: (ألا أُخبركم بأهل الجنة قالوا بلى قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –كل ضعيف متضعف، لو أقسم على الله لأبره ثم قال: ألا أخبركم بأهل النارقالوا بلى: قال كل عُتل جَواظ مُستكبِر).[3] وجاء الحث على التواضع في كثير من آيات القرآن الكريم، ولم يكن الأمر فيها بالتحلى بخلق التواضع للمؤمنين فحسب بل جاء للنبي – صلى الله عليه وسلم– وهو القدوة والأسوة الحسنة للمؤمنين، فأمره الله بالتواضع للمؤمنين فقال ﴿وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ الحجر: ٨٨، ﴿وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٢١٥﴾ الشعراء: ٢١٥

ولما كان لخلق التواضع عظيم الأثر في حياة المؤمنين وعلاقة الأفراد بعضهم ببعض في المجتمع؛ إذ هو صفة محمودة تدل على طهارة النفس، وتدعو

---

(١) الحديث أخرجه الإمام مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان، باب تحريم الكبروبيانه ٩٣/١(ح ٩١).

(٢) الحيث أخرجه الإمام مسلم في صحيحه في كتاب الجنة ونعيمها، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا ٢١٩٨/٤ (ح ٢٨٦٥).

(٣) الحديث أخرجه الإمام الترمذي في سننه، في أبواب صفة جهنم ٧١٧/٤ (ح ٢٦٠٥).

إلى الود والمحبة، والمساوة بين الناس، وتُمكِن من الترابط بينهم؛ حيث إن التواضع يُثبت للمتواضع – الذي لايريد ترفعا على خلق الله وتعاظما وتجبرا عليهم – محبة ومكانة وعزة في قلوب البشر، ويرفعه عندهم ويجل مكانه، ويرفعه الله في الدنيا والآخرة، أما من تكبر على الناس فقد توعده الله تعالى بالذل والهوان في الدنيا والآخرة، لأن الله عز وجل قال: «الْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي، وَالْعَظَمَةُ إِزَارِي، فَمَنْ نَازَعَنِي وَاحِدًا مِنْهُمَا، أَلْقَيْتُهُ فِي جَهَنَّمَ»(١).

ولما كان علم اللغة الاجتماعي فرعا من اللسانيات التطبيقية، ويهتم بدراسة اللغة في علاقتها بالمجتمع، وبتحليل الخطاب اللغوي بما يشمله من وحدات صوتية وصرفية وتركيبية وما لها من دلالات اجتماعية؛ ومن هنا برزت أهمية هذا البحث والذي جاء ليدرس لغة الخطاب القرآني في الآيات الدالة على خلق التواضع دراسة تحليلية في ضوء علم اللغة الاجتماعي.

الدراسات السابقة: من الدراسات السابقة حول آيات التواضع: آيات التواضع في القرآن الكريم دراسة بلاغية، عمار إسماعيل أحمد، مجلة القادسية في الآداب والعلوم التربوية، العدد ١، مارس ٢٠٢٢م. – الألفاظ الدالة على اللين في القرآن الكريم دراسة تحليلية في الفروق الدلالية د. فايزة أحمد محمد عبدالحليم، مجلة كلية البنات الأزهرية بالعاشر من رمضان، العدد ٩، ديسمبر ٢٠٢٤م.

والدراسات السابقة كلها تختلف دراستي عنها؛ إذ إن دراستي تهدف إلى استجلاء الدلالات الاجتماعية من آيات البحث من خلال تحليل الوحدات الصوتية

(١) الحديث أخرجه الإمام ابن ماجه في سننه في كتاب الزهد، باب البراءة من الكبر والتواضع ٢/ ١٣٩٧ (ح ٤١٧٤) والإمام أحمد في مسنده، في مسند أبي هريرة ١٤/ ٤٧٣ (ح٨٨٩٤)

والصرفية والتركيبية فيها وبيان ما تحمله من دلالات اجتماعية لها قيمة تأثيرية على أفراد المجتمع.

ومن الدراسات السابقة في القرآن الكريم في ضوء علم اللغة الاجتماعي:

– سورة الفاتحة دراسة تحليلية في ضوء علم اللغة الاجتماعي، د أم أحمد أمين بيومي، مؤتمر الأخلاق وأليات بناء الوعي الرشيد، كلية الدراسات الإسلامية والعربية بنات القاهرة، مارس ٢٠٢٤ م – لغة القرآن الكريم في وصايا لقمان ابنه دراسة تحليلية في ضوء علم اللغة الاجتماعي، د شيماء عبد الحميد أحمد، مؤتمر الأخلاق وأليات بناء الوعي الرشيد، كلية الدراسات الإسلامية والعربية بنات القاهرة، مارس ٢٠٢٤ م

واتبع البحث المنهج الوصفي، وجاء البحث في مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث:

المقدمة وفيها أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، والمنهج الذي سار عليه البحث.

التمهيد: التعريف بخُلُق التواضع، وعلم اللغة الاجتماعي

أولا التعريف بخلق التواضع، وأقسامه، والفرق بينه وبين التذلل والخشوع والمهانة، ثانيا: التعريف بعلم اللغة الاجتماعي

المبحث الأول: من الآيات الدالة على حث النبي صلى الله عليه وسلم على خلق التواضع.

المبحث الثاني: من الآيات الدالة على حث المؤمنين على خلق التواضع مع غيرهم من أفراد المجتمع.

المبحث الثالث: من الآيات الدالة على حث الأبناء على التواضع.

أولا: من الآيات الدالة على حث الأبناء على التواضع للوالدين.

ثانيا: من الآيات الدالة على حث الوالد لولده على التواضع مع الناس (غرس خلق التواضع في نفوس الأبناء).

الخاتمة وفيها النتائج التي أسفر عنها البحث ويليها ثبت بمصادر ومراجع البحث.

والله أسأل أن يكون هذا البحث خالصا لوجهه الكريم، وأن ينتفع به، وما كان من سهو أوخطأ أو نسيان فمني ومن الشيطان، ﴿ وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ هود: ٨٨.

التمهيد

التعريف بخُلُق التواضع، وعلم اللغة الاجتماعي

أولا التعريف بخلق التواضع، وأقسامه، والفرق بينه وبين التذلل والخشوع والمهانة:

التواضع في اللغة: معناه الخفض والتذلل، يقول ابن فارس "الواو والضاد والعين: أصل واحد يدل على الخفض للشيء وحطه" (١) و"وُضِعَ الرجل بالضم يوضَعُ ضَعَةً وضِعَةً، أي صار وضيعاً. ووَضَعَ منه فلانٌ، أي حطَّ من درجته. والتَواضُعُ: التذلُّلُ. "(٢)

تعريف التواضع اصطلاحا: ذكر العلماء تعريفات متعددة للتواضع ومنها:

التواضع "هو انكسار القلب لله، وخفض جناح الذل والرحمة بعباده، فلا يرى له على أحد فضلا، ولا يرى له عند أحد حقا، بل يرى الفضل للناس عليه، والحقوق لهم قِبله."(٣).

وقيل " التَّوَاضُعُ: استعظام ذَوِي الْفَضَائِل من دونه فِي المَال والجاه، وَقيل: الرِّضَا بِمَنْزِلَة دون مَا يسْتَحقّهُ فَضله ومنزلته."(٤) وقيل " التواضع: تحقير النفس وإهانتها بالنسبة إلى عظمة الله وقبول الحق بحسن الخلق. وقيل ترك الصول

---

(١) مقاييس اللغة (وض ع).

(٢) الصحاح ١٣٠٠/٣ (وض ع).

(٣) الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية صـ ٢٣٣، وينظر: معجم لغة الفقهاء محمد رواس قلعجي – حامد صادق قنيبي صـ ١٥٠.

(٤) معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي صـ ٢٠٣، وينظر صـ ٢١٧.

والتبرؤ من القوة والحول. وقيل رؤية التقصير في عين التوقير.قال التونسي: تذلل القلوب لعلام الغيوب بالتسليم لمجاري أحكام الحق." [١] والتعريفات السابقة للتواضع ترجع في جملتها إلى المعنى اللغوي للتواضع وهو الخفض والتذلل، كما أنها تجمع بين التواضع لله تعالى والتواضع لعباده، وهو مايجب أن يتحلى به المرء المسلم ويظهر في سلوكه الاجتماعي وفي تعامله مع الناس في المجتمع الذي يعيش فيه؛ إذ التواضع خلق كريم من أخلاق عباد الله المؤمنين.

أقسام التواضع: ينقسم التواضع إلى قسمين:

القسم الأول: التواضع المحمود وله ثلاثة أنواع:

النوع الأول: التواضع مع الله تعالى وذلك بأن يتواضع العبد عند أمر الله امتثالا، بغير رياء ولاعجب، وعند نهيه اجتنابا، وأن يتواضع لعظمته، فكلما شمخت نفسه ذكر عظمة الله تعالى وتفرده بذلك، وغضبه الشديد على من نازعه ذلك.[٢] والنوع الثاني: التواضع في النفس ومعناه ازدراء المرء نفسه واستحقاره إياها عند ذكره مَا قارف من المآثم حتى لا يرى أحدا من العالم إلا ويرى نفسه دونه في الطاعات وفوقه في الجنايات. والنوع الثالث: التواضع مع الخلق: بأن يترك المرء التطاول عليهم، والإزراء بهم واحتقارهم، وأن يقبل الحق منهم.

القسم الثاني: التواضع المذموم وهو تواضع المرء لذي الدنيا رغبة في دنياه [٣] والبحث يختص بالتواضع المحمود الذي له عظيم الأثر على الفرد والمجتمع والذي حث عليه الدين الإسلامي في كثير من آيات القرآن الكريم، وفي السنة النبوية الشريفة.

---

(١) التوقيف على مهمات التعاريف، عبد الرؤوف المناوي القاهري صـ ١١١ .

(٢) الروح صـ ٢٣٤ .

(٣) روضة العقلاء صـ ٥٩ –٦٠ .

الفرق بين التواضع والتذلل: فرَّق أبو هلال العسكري بين التذلل والتواضع فذكر "أن التذلل إظهار العجز عن مقاومة من يتذلل له والتواضع إظهار قدرة من يتواضع له سواء كان ذا قدرة على التواضع أو لا، ألا ترى أنه يقال الملك متواضع لخدمة أي يعاملهم معاملة من له عليهم قدرة ولا يقال يتذلل لهم لأن التذلل إظهار العجز عن مقاومة المتذلل له وأنه قاهر وليست هذه صفة الملك مع خدمة "[١] وفرق الراغب بين التواضع والخشوع بقوله: إن التواضع يعتبر بالأخلاق والأفعال الظاهرة والباطنة، والخشوع يقال باعتبار الجوارح، ولذلك قيل: إذا تواضع القلب خشعت الجوارح "[٢]

الفرق بين التواضع والمهانة "أن التواضع يتولد من بين العلم بالله سبحانه ومعرفة أسمائه وصفاته ونعوت جلاله وتعظيمه ومحبته وإجلاله، ومن معرفته بنفسه وتفاصيلها وعيوب عملها وآفاتها فيتولد من بين ذلك كله خلق هو التواضع، وهو انكسار القلب لله، وخفض جناح الذل والرحمة بعباده، فلا يرى له على أحد فضلا، ولا يرى له عند أحد حقا، بل يرى الفضل للناس عليه، والحقوق لهم قِبله، وأما المهانة فهي الدناءة والخسة وبذل النفس وابتذالها في نيل حظوظها وشهواتها كتواضع السفل في نيل شهواتهم، وتواضع المفعول به للفاعل، وتواضع طالب كل حظ لمن يرجو نيل حظه منه فهذا كله ضعة لا تواضع والله سبحانه يحب التواضع ويبغض الضعة والمهانة"[٣] مما سبق يتضح الفرق بين التواضع والتذلل والمهانة؛ فالتواضع خلق محمود يزداد به الفرد علوا ورفعة بخلاف التذلل والمهانة؛ إذ بهما يُوصف المرء بالعجز والخِسة والدَّناءة والضعة.

---

(١) الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري صـ ٢٤٩ .

(٢) الفروق اللغوية ص ٢١٥ –٢١٦ .

(٣) الروح ٢٣٣ – ٢٣٤ .

ثانيا: التعريف بعلم اللغة الاجتماعي:

علم اللغة الاجتماعي فرع من فروع علم اللغة، لكنه يقع في الجانب التطبيقي منه، أو اللغويات التطبيقية applied linguistics بالنظر إلى أن موضوعاته تقع في هذا الجانب. وهذا العلم من العلوم الحديثة التي لم تتضح معالمها ولم تستقل استقلالا تاما إلا في أواخر الخمسينات وبداية الستينات من القرن العشرين [١] وذكر العلماء له تعريفات عديدة منها:

أنه علم يبحث التفاعل بين جانبي السلوك الإنساني, واستعمال اللغة والتنظيم الاجتماعي للسلوك، ويركز علي الموضوعات التي ترتبط بالتنظيم الاجتماعي لسلوك اللغة[٢] .

وعرفه د.هادى نهر بأنه" العلم الذى يدرس اللغة من حيث علاقتها بالمجتمع، أو العلم الذى يحاول الكشف عن القوانين والمعاييرالاجتماعية التى توضح وتنظم سلوك اللغة وسلوك الأفراد نحو اللغة في المجتمع".[٣] وعرفه د كمال بشر بأنه " العلم الذى يدرس اللهجات الاجتماعية أو الطبقية فى كل مجتمع لغوى من حيث خصائصها الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية وتوزيعها داخل هذا المجتمع ودلالتها على المستويات الاجتماعية المختلفة ويدرس اللغة على المستوى الرأس كما يدرس أيضا مشاكل الأزدواج اللغوى مثل"العامية والفصحى." [٤]

(١) مدخل إلى علم اللغة الاجتماعي، محمد عفيف الدين دمياطي صـ ٧.

(٢) علم اللغة الاجتماعي، صبري إبراهيم السيد صـ ٦٨.

(٣) اللسانيات الاجتماعية عند العرب، هادي نهرصـ ٩، وينظر: علم اللغة الاجتماعي د. هدسون ترجمة: د محمود عيَّاد صـ ١٢.

(٤) التفكير اللغوي بين القديم والجديد د كمال بشر ص ٥٢.

ومن خلال التعريفات السابقة يتضح أن علم اللُّغة الاجتماعي معْنِيٌّ بدراسة علاقة اللُّغة بالمجتمع، ,وتأثير كل منهما في الآخر، وتأثيرهما معا على الفرد، فاللغة لها "أ"ثرها الواضح في ثقافة المجتمع وسلوكه، وهامة وخطيرة في حياة الفرد وتميزه عن غيره، وتربطه بمجتمعه، وتحدد طبقته وثقافته وتوجه كثيرا من ألوان سلوكه، وتهيأ له الكشف عن ذاته والتعبير عن وجوده، وإذا كانت اللغة بهذا القدر من الأهمية للفرد فإن أهمية الفرد بالنسبة لها لاتقل عن ذلك فالفرد في الحقيقة هو المستعمل للغة وهو صاحب الفضل في إخراجها وإبرازها إلى الواقع المحس.. فالعلاقة إذن وثيقة بين اللغة والمجتمع فهو صاحبها، وهي مرآته التي تعكس كل مافيه من مظاهر وجوانب، ومن أجل هذا كان أفضل منهج لفهم اللغة، والكشف عن حقيقتها، لا يتحقق إلا عن طريق معرفة دورها في حياة الفرد، وفي حياة الجماعة، وفي حياة النوع الإنساني كله، وبالتالي فإن دراسة المجتمع لا يمكن أن تتم بدون دراسة اللغة والوقوف على أثرها"[(١)]. هذا وقد تنبه علماؤنا القدامي إلى اجتماعية اللغة يقول ابن جني في تعريفه للغة: " أما حدها فإنها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم. "[(٢)]

العلاقة بين علم اللغة الاجتماعي، وعلم الاجتماع اللغوي:

- قيمة علم اللغة الاجتماعي تكمن في قدرته على إيضاح طبيعة اللغة بصفة عامة وإيضاح خصائص محددة للغة بعينها. ومن الطبيعي أن يدرك دارسو المجتمع أن حقائق اللغة يمكن أن تزيد من فهمهم للمجتمع. وكذلك فإنه من الصعب أن نجد في خصائص المجتمع ما يمكن أن يكون أكثر تمييزاً للمجتمع من لغته, أو يوازيها أهمية في الدورالذي يؤديه في عملية قيام

(١) علم اللغة العام أسسه ومناهجه د عبد الله ربيع محمود صـ ٤٢- ٤٣.

(٢) الخصائص لابن جني ٣٤/١ .

المجتمع بوظيفته.[١] وعلم اللغة الاجتماعي يدرس" الطرق التي تتفاعل بها اللغة مع المجتمع، أي أنه يدرس الطريقة التي بها تتغير البنية اللغوية استجابة لوظائفها الاجتماعية المختلفة، والتعريف بماهِيَّة هذه الوظائف". [٢] وفرق د .كمال بشر بين علم اللغة الاجتماعي وعلم الاجتماع اللغوي بقوله: "إن الفرق بين المدلولين يظهر في التَركيز على جانب دون آخر: الاهتمام بالجانب اللغوي، أو الجانب الاجتماعي، كما يظهر الفرق عندما يكون الباحث المُعِين أقدرَ من صاحبه، وأكثرَ منه خبُة، وأعمق تخصصًا لموضوعا في هذا الجانب، أو ذاك، أي الجانب اللغوي، أو الجانب الاجتماعي"[٣]. فعلم اللغة الاجتماعي هو دراسة اللغة بالنظر إلى المجتمع، وعلم الاجتماع اللغوي هو دراسة المجتمع بالنظر إلى اللغة[٤].

موضوعات علم اللغة الاجتماعي: يهتم علم اللغة الاجتماعي بدراسة العديد من الموضوعات ومنها: –تعدد المستويات اللغوية في المجتمع الواحد أو تعدد اللغات واللهجات ويهتمّ برصد هذه المستويات أو اللهجات أو اللغات وتحديد المجتمعات التي تستخدمها سواء أكانت هذه الجماعات عرقيّة أم دينية أم مهنية أم طبقية.

- **التخطيط اللغوي:** والذي يعالج قضايا كثيرة مثل تقرير النظام الكتابي، واختيار اللغات الرسمية وأساليب المحافظة عليها وتطويرها.

---

(١) علم اللغة الاجتماعي صبري السيد صـ ١٧، وينظر: اللسانيات الاجتماعية عند العرب د هادي نهر صـ ٥٣ .

(٢) مدخل إلى علم اللغة د محمد حسن عبد العزيز صـ ٩١ .

(٣) علم اللغة الاجتماعي المدخل د .كمال بشر صـ ٤٢.

(٤) علم اللغة الاجتماعي د صبري إبراهيم صـ ١٨ .

- دراسة التباين الاجتماعي الذي يظهر واضحا في المجتمع اللغوي ويسجل الفروق اللغوية الموجودة بين طبقات المجتمع المختلفة.
- ودراسة محظور الكلام أوالكلمات المحظورة tabooed words، والتعبيرات الاصطلاحية، وظاهرة الاقتراض اللغوي لأن هذه الظواهر ترتبط بالمجتمع أوالجماعة اللغوية ارتباطا وثيقا(١).
- الكفاية الاتصالية، وهي تعني معرفة المتكلم السامع الضمنية بلغته في مقابل الفعل أي الاستخدام الفعلي للغة في المواقف الواقعية. فالكفاية لاتعالج الكلام بل تعالج قدرة المتكلم على إنتاج مالا ينحصرمن الجمل الصحيحة نحويا.
- **التنشئة الاجتماعية:** كل فرد في جماعة ينبغي أن يكتسب عددا كبيرا من الخصائص اللغوية وفي الوقت نفسه يخضع لعملية التنشئة الاجتماعية، أي ينبغي أن يكتسب معرفة بالقيم الاجتماعية والثقافية لمجتمعه، وبالقيود أو الضغوط التي يمارسها المجتمع على السلوك عامة بما في ذلك السلوك اللغوي(٢).
- **المعنى الاجتماعي:** حيث يتناول موضوع علم اللغة الاجتماعي كذلك دراسة العوامل الاجتماعية التي تحكم الاستعمالات اللغوية المختلفة بين الأفراد ومنها على سبيل المثال العلاقات المحددة بين المشاركين في الحديث، وأسلوب التخاطب، والمكانة الاجتماعية لكل منهم، والأدوار الاجتماعية التي يقومون بأدائها وهدف المحادثة وموضوعها وآداب الحديث(٣).

---

(١) مدخل إلى علم اللغة الاجتماعي د محمد عفيف صـ ١٠ وينظر: علم اللغة الاجتماعي د. محمد عبد العزيز صـ ٣١.

(٢) علم اللغة الاجتماعي د محمد عبد العزيز صـ ٣٣ وما بعدها.

(٣) مدخل إلى علم اللغة الاجتماعي صـ ١١.

- ومن موضوعات علم اللغة الاجتماعي كذلك تحليل المحادثات أو الخطاب، ومن هذا الموضوع الأخير- تحليل الخطاب -انبثقت فكرة هذا البحث في الآيات الدالة على التواضع، حيث يقوم البحث فيها على تحليل الخطاب القرآني في الآيات الكريمة مجال الدراسة موضحا دلالة الوحدات الصوتية والصرفية والتركيبية التي لها دلالات إجتماعية تؤثر في أفراد المجتمع؛ فالخطاب القرآني جاء خطابا عاما لكل البشر، حاملا في ثناياه الكثير من القيم التربوية والعقلية، والإيمانية والاجتماعية، والتي بها يسمو المجتمع ويعيش أفراده في طمأنينة وسلام وتلاحم مجتمعي.

المبحث الأول

من الآيات الدالة على حث النبي -صلى الله عليه وسلم- على خلق التواضع

ورد الخطاب القرآني للنبي- صلى الله عليه وسلم- وحثه على خلق التواضع في العديد من آيات القرآن الكريم ومن ذلك:

الموضع الأول: قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ ﴾ الحجر: ٨٧ -٨٨

مناسبة الآيات لما قبلها: بعد أن أمر الله سبحانه وتعالى رسوله- عليه الصلاة والسلام -" أن يصبر على أذى قومه، وأن يصفح عنهم الصفح الجميل- أردف ذلك ذكر ما أولاه من النعم، وما أغدق عليه من الإحسان، ليسهل عليه الصفح ويكون فيه سلوة له على احتمال الأذى، فذكر أنه آتاه السبع المثاني- الفاتحة- والقرآن العظيم الجامع لما فيه هدى البشر وصلاحهم فى دنياهم وآخرتهم. وبعد أن ذكر له مظاهر نعمه عليه، نهاه عن الرغبة فى الدنيا، ومد العينين إليها، يتمنى ما فيها من متاع، ونهاه عن الحسرة على الكفار إن لم يؤمنوا بالقرآن وبما جاء به، وأمره بالتواضع لفقراء المسلمين. " [1] والآية الأولى جاءت تمهيدا للآية الثانية ولذلك لم تعطف عليها؛ فقوله تعالى: ﴿ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ ﴾ وقعت استئنافا بيانيا " لما يثيره المقصود من قوله تعالى ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ﴾ [الحجر: ٨٥]، ومن تساؤل يجيش في النفس عن الإملاء للمكذبين في

(١) تفسير المراغي ١٤/٤٣ .

النعمة والترف مع ما رمقوا به من الغضب والوعيد فكانت جملة لا تمدن عينيك بيانا لما يختلج في نفس السامع من ذلك، ولكونها بهذه المثابة فصلت عن التي قبلها فصل البيان عن المبين. (١)

السياق الاجتماعي للآيات الكريمة: قال الحسين بن الفضل: إن سبع قوافل وافت من بصرى وأذرعات ليهود قريظة والنضير في يوم واحد فيها أنواع من البز وأوعية الطيب والجواهر وأمتعة البحر، فقال المسلمون: لو كانت هذه الأموال لنا لتقوينا بها فأنفقناها في سبيل الله فأنزل الله تعالى هذه الآية، وقال: لقد أعطيتكم سبع آيات هي خير لكم من هذه القوافل، ويدل على صحة هذا قوله على أثرها {لا تمدن عينيك} الآية.(٢)

التحليل اللغوي(٣) للآيات الكريمة:

أولا: الوحدات الصوتية وإيحاءتها:

بالنظر في الأصوات اتي تشكلت منها الآيات الكريمة يُلاحظ: غلبة وشيوع الأصوات المجهورة، والصوت المجهور " حرف قوى يمنع النفس أن يجري معه عند النطق به لقوته، ولقوة الاعتماد عليه في موضع خروجه. "(٤) وهي أصوات سمتها الإعلان والظهور والتي تتناسب مع الأهداف الاجتماعية للآيات الكريمة– وهي أهداف يناسبها الصوت المجهور– حيث تضمنت الآيات التأكيد على عِظم

(١) التحرير والتنوير ٨٢/١٤ .

(٢) أسباب النزول للواحدي صـ ٢٢٧ وينظر: إرشاد العقل السليم ٨٩/٥.

(٣) في سياق التحليل اللغوي يركز البحث على الأبنية التي تخدم الدلالات الإجتماعية في الآيات وتساعد في استجلائها .

(٤) الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة لمكي بن أبي طالب القيسي صـ ٣٧، وينظر الكتاب لسيبويه ٤٣٤/٤ .

ماآتاه الله سبحانه وتعالى لرسوله – صلى الله عليه وسلم – وهو القرآن الكريم عامة والسبع المثاني خاصة، وهو مايُثير في المسلمين العناية بالقرآن الكريم والتسابق على حفظه وتدبره، كما تضمنت كذلك تنفير المسلمين من التشوف إلى زينة الحياة الدنيا، وترغيبهم في الزهد فيها، وحثتهم على التواضع للمؤمنين أسوة بنبيهم صلى الله عليه وسلم فهو المخاطب في هذه الآيات.

– وبتأمل لفظي (القرآن، العظيم) يتضح أن جميع أصواتهما أصوات مجهورة، وأن كلا اللفظتين(القرآن، العظيم) قد اشتملت على صوت من أصوات الاستعلاء والتفخيم (ق – ظ) – وهو ما يبين عظمة القرآن الكريم، وأنه معجزة آتاها الله سبحانه وتعالى لنبيه– صلى الله عليه وسلم– وهي أعظم من جميع متاع الحياة الدنيا، وفي هذا ما يُشعِل الحماسة لدى المؤمنين من أفراد المجتمع في التنافس لحفظ القرآن الكريم، وبث هذه الحماسة في نفوس النشء.

<u>دلالة المقاطع المفتوحة</u>: المقاطع المفتوحة بنوعيها طويلة (ص ح ح) وقصيرة (ص ح) في الآيات القرآنية بما تملكة من سمة الانفتاح والاستمرارية وتدفق الهواء بكثرة تبرز وتوضح عِظم ما آتاه الله سبحانه وتعالى لرسوله – صلى الله عليه وسلم – وهو القرآن العظيم، وتبين المنهج الربَّاني الذي رسمه الله لنبيه وهو عدم التطلع إلى زينة الحياة الدنيا الزائلة، وألا يحزن على من لم يؤمن به وبرسالته، وأن يلين ويرفق بمن آمن به، وفي ذلك دلالة على التهاون بمن لم يؤمن به وبما معهم من المتاع الزائل و"احتفاء بشأن المؤمنين، ورفع لمنزلتهم، وأن على النبي أن يلقاهم حفيّا بهم، مكرما لهم، متجاوزا عن هناتهم."[1]

(١) التفسير القرآني ٦٢٦/٧.

وفي انتهاء فاصلة الآية بالمقطع الطويل المغلق (ص ح ح ص) (العظيم) ما يصور مدى عظمة القرآن الكريم وامتدادها على مر العصور، فهو معجزة الله الخالدة، وقد حوى القرآن علوم الأولين والآخرين، وعجز العرب وهم أهل الفصاحة والبيان عن الإتيان بمثله، وهو كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وأن هذه المعجزة العظيمة باقية على مدى الدهر إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

وفي تأمل للفظ المؤمنين: في قوله تعالى ﴿ وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ يتبين أن جميع أصواتها أصوات مجهورة وهو ما يدل على وجوب التواضع لجميع من ظهر عنه صفات المؤمنين، وفي انتهاء الفاصلة بالمقطع الطويل المغلق (ص ح ح ص) (للمؤمنين) ما يدل على وجوب استمراية التواضع واللين للمؤمنين وهو ما أمرالله به النبى– صلى الله عليه وسلم – وهو قدوة للمؤمنين من أفراد المجتمع فعليهم أن يهتدوا بهديه –صلى الله عليه وسلم– وأن يتواضعوا ويلينوا مع غيرهم من المؤمنين حتى تسود المحبة والألفة بينهم في المجتمع.

ثانيا الوحدات الصرفية ودلالاتها:

دلالة التثنية في قوله تعالى: ﴿ لَا تَمُدَّنَّ عَيۡنَيۡكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجٗا مِّنۡهُمۡ ﴾

ورد التعبير القرآني بلفظ (عينيك) بصيغة المثنى دلالة على عِظم النهي عن تمني ما عند الغير من متاع الحياة كلية، ولله در البقاعي إذ يقول " {لا تمدن عينيك} أي مدا عظيما بالتمني والاشتهاء المصمم، ولذلك ثنى العين احتزازا عن حديث النفس"[(١)] ومعنى ذلك أنه على المرء ألا يديم النظر إلى ماعند غيره متمنيا إياه ومستحسنه، وفي ذلك أيضا تنفير للمسلمين من التطلع إلى اللذات العاجلة من متاع الحياة الدنيا.

(١) نظم الدرر ٨٦/١١ .

دلالة الجمع (أزواجا): أزواج جمع تكسير لـ(زَوْج)، والزوج معناه في اللغة " الشَّكْلُ يَكُونُ لَهُ نَظِيرٌ كَالْأَصْنَافِ وَالْأَلْوَانِ أَوْ يَكُونُ لَهُ نَقِيضٌ كَالرَّطْبِ وَالْيَابِسِ وَالذَّكَرِ وَالْأُنْثَى وَاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْحُلْوِ وَالْمُرِّ قَالَ ابْنُ دُرَيْدٍ: وَالزَّوْجُ كُلُّ اثْنَيْنِ ضِدُّ الْفَرْدِ وَتَبِعَهُ الْجَوْهَرِيُّ فَقَالَ: وَيُقَالُ لِلِاثْنَيْنِ الْمُتَزَاوِجَيْنِ زَوْجَانِ وَزَوْجٌ أَيْضًا"[١]. وذكر الطبري عن مجاهد أن الأزواج "الأغنياء الأمثال الأشباه"[٢] وعن الزجاج: أمثالا في النعم[٣] والأزواج هنا يحتمل أن يكون على معناه المشهور، أي الكفار ونسائهم. ووجه تخصيصهم بالذكر أن حالتهم أتم أحوال التمتع لاستكمالها جميع اللذات والأنس. ويحتمل أن يراد به المجاز عن الأصناف وهو استعمال أثبته الراغب. فوجه ذكره في الآية أن التمتع الذي تمتد إلى مثله العين ليس ثابتا لجميع الكفار بل هو شأن كبرائهم، أي فإن فيهم من هم في حال خصاصة فاعتبر بهم كيف جمع لهم الكفر وشظف العيش[٤]. وفي قوله تعالى: «أَزْواجاً مِنْهُمْ» " إشارة إلى كثرة من أنعم الله عليهم، وابتلاهم بهذه النعم من المشركين.. فالأزواج كثرة، والأفراد قلة ثم إن التزاوج فى ذاته نعمة من نعم الله، كما يقول سبحانه مذكّرا بهذه النعمة: ﴿ وَخَلَقْنَٰكُمْ أَزْوَٰجًا ﴾ (النبأ ٨) وعبر بالضمير (مِنْهُمْ) تهوينا لشأنهم، وإضرابا عن ذكرهم، بالحديث عنهم بضمير الغائب، فهم غائبون وإن كانوا حاضرين."[٥]

- دلالة جمع (الْمَثَانِي) في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴾ (الْمَثَانِي) على زنة مَفاعِل، جمع تكسير لمثنى وهو كلّ شيء

(١) المصباح المنير صـ ٢٥٨، وينظر: الصحاح ٣٢٠/١ (ز وج).
(٢) جامع البيان ١٤١/١٧، وينظر: النكت والعيون ١٧١/٣.
(٣) معاني القرآن ٣/ ١٨٦ .
(٤) التحرير والتنوير ٨٢/١٤.
(٥) التفسير القرآني ٢٦٢/٧.

يكرر[١] ويقول الزمخشري "والْمَثانِي من التثنية وهي التكرير، لأن الفاتحة مما تكرر قراءتها في الصلاة وغيرها، أو من الثناء لاشتمالها على ما هو ثناء على الله، الواحدة مثناة أو مثناة أو مثنية صفة للآية. وأمّا السور أو الأسباع فلما وقع فيها من تكرير القصص والمواعظ والوعد والوعيد وغير ذلك، ولما فيها من الثناء، كأنها تثنى على الله تعالى بأفعاله العظمى وصفاته الحسنى[٢].

واختلف فى السبع المثاني.. "فقيل إنها السبع الطوال من سور القرآن الكريم: البقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة، والأنعام، والأعراف، (والأنفال، والتوبة. باعتبارهما سورة واحدة) وقيل إنها الحواميم السبعة، وهى غافر (المؤمن) والسجدة (فصلت) والشورى، والزخرف، والدخان، والجاثية، والأحقاف.. وقيل إنها الفاتحة.. (أم الكتاب)"[٣]، وقيل "المراد بالسبع المثاني أقسام القرآن: وهي الأمر والنهي والتبشير والإنذار وضرب الأمثال وتعريف النعم، وأنباء القرون الماضية"[٤]. والرأي الراجح الذي يطمئن إليه البحث أن المراد بها الفاتحة لأن فيها ثناء خالص على الله سبحانه وتعالى، ودل على ذلك السياق الخارجي؛ ففي حديث أبي سعيد بن المعلى أنه قال له النبي– صلى الله عليه وسلم –: ألا أعلمك أفضل سورة قبل أن أخرج من المسجد؛ فذهب النبي– صلى الله عليه وسلم– ليخرج فذكرت فقال " الحمد لله رب العالمين هي السبع المثاني والقرآن العظيم"[٥]. وأخرج البخاري أيضاً من حديث

(١) الجدول في الإعراب ٢٧٠/١٤ .

(٢) الكشاف ٥٨٧/٢ وينظر: روح المعاني ٣٢١/٧ .

(٣) التفسير القرآني للقرآني ٢٦٠/٧ .

(٤) فتح البيان ١٩٤/٧.

(٥) الحديث أخرجه البخاري في كتاب تفسير القرآن، باب ماجاء في فاتحة الكتاب ١٧/٦ (ح ٤٤٧٤) .

أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "أم القرآن هي السبع المثاني والقرآن العظيم"(١).

– دلالة جمع المؤمنين: في قوله تعالى: ﴿وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ المؤمنين جمع مؤمن اسم فاعل من آمن " والإِيمانُ: ضدُّ الْكُفْرِ. والإِيمان: بِمَعْنَى التَّصْدِيقِ، ضدُّه التَّكْذِيبُ. يُقَالُ: آمَنَ بِهِ قومٌ وكذَّب بِهِ قومٌ " (٢) والفرق بين الإسلام والإيمان والصلاح" أن الصلاح استقامة الحال وهو مما يفعله العبد لنفسه ويكون بفعل الله له لطفا وتوفيقا والإيمان طاعة التي يؤمن بها العقاب على ضدها وسميت النافلة إيمانا على سبيل التبع لهذه الطاعة والاسلام طاعة الله التي يسلم بها من عقاب الله وصار كالعلم على شريعة محمد ولذلك ينتفي منه اليهود وغيرهم ولا ينتفون من الإيمان."(٣) وعلى ذلك فالمقصود من المؤمنين في الآية الموحدين بالله المصدقين برسوله. ويؤخذ منها أنه على المرء ألا يتعاظم على أحد وخاصة المؤمنين فعليه أن يتواضع معهم ويلين لهم جانبا، وفي أمره صلى الله عليه وسلم بالتوضع للمؤمنين قدوة لأفراد المجتمع في التحلى بهذا الخلق الطيب. كما أفادت صيغة جمع المؤمنين استمرارية ودوام حدث الإيمان في قلوب هؤلاء المؤمنين لأن هذه الصفة تجري مجرى الفعل في إرادة الحدث(٤)؛ ومن هنا تبرزعظمة القرآن الكريم في سر التعبير بقوله: ﴿وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ مَتاع: وسر التعبير بها في قوله تعالى: ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيۡنَيۡكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجٗا مِّنۡهُمۡ ٨٨﴾

(١) الحديث أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن، باب ولقد ءاتيناك سبعا من المثاني ٦/ ٨١ (ح ٤٧٠٣).

(٢) لسان العرب ١٣/ ٢١ (أ م ن).

(٣) الفروق اللغوية صـ ٢٢٨.

(٤) ينظر شرح المفصل لابن يعيش ٣/ ٢٥٠

المتاع في اللغة هو: " كُلُّ مَا يُنْتَفَعُ بِهِ كَالطَّعَامِ وَالْبَزِّ وَأَثَاثِ الْبَيْتِ وَأَصْلُ الْمَتَاعِ مَا يُتَبَلَّغُ بِهِ مِنْ الزَّادِ وَهُوَ اسْمٌ مِنْ مَتَّعْتُهُ بِالتَّثْقِيلِ إذَا أَعْطَيْتَهُ ذَلِكَ وَالْجَمْعُ أَمْتِعَةٌ."(١) وقَالَ الأَزهري:" فأَما المَتاعُ فِي الأَصل فَكُلُّ شَيْءٍ يُنْتَفَعُ بِهِ ويُتَبَلَّغُ بِهِ ويُتَزَوَّدُ والفَناءُ يأْتي عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا". (٢) وفي التعبير عما أوتوه (بالمتاع) دلالة على أن النعيم الذي فيه الكفار نعيم زائل لا محالة، وأن الباقي الممتد هو ما أعطاه الله سبحانه وتعالى لرسوله وللمؤمنين، وفي ذلك حث للمؤمنين على الزهد في متاع الحياة ؛فما عند الله هو أغنى وأبقي، وفيه كذلك تنفير لهم من حب اللذات الفانية.

دلالة صيغة فعيل في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴾

العظيم: وصف القرآن الكريم بالعظيم وهوعلى صيغة فعيل وهو وصف من أسماء الله الحسنى، فالله سبحانه وتعالى هو العظيم أي " الَّذِي جاوَزَ قدْرُهُ وجلَّ عَنْ حدودِ العُقول حَتَّى لَا تُتَصَوَّر الإِحاطةُ بِكُنْهِه وحَقِيقتِهِ. والعِظَمُ فِي صِفاتِ الأَجْسام: كِبَرُ الطُّولِ والعرضِ والعمْق، وَاللَّهُ تَعَالَى جلَّ عَنْ ذَلِكَ.. ...والعِظَمُ: خلافُ الصِّغَر.عَظُمَ يَعْظُم عِظَماً وعَظامةً: كَبُرَ، وَهُوَ عظيمٌ وعُظامٌ. وعَظَّمَ الأَمرَ: كَبَّره. وأَعْظَمَه واسْتَعْظَمَه: رَآهُ عَظيماً." (٣)

وفي وصف القرآن بالعظيم دلالة على عِظم القرآن الكريم وعِظم مكانة أهل القرآن الكريم في المجتمع فهم أهل الله وخاصته، أنعم الله عليهم واصطفاهم لحمل

(١) المصباح المنير ٥٦٢/٢ (م ت ع)
(٢) تهذيب اللغة ١٧٣/٢ باب العين والتاء مع الميم، وينظر لسان العرب ٣٢٩/٨، تاج العروس ١٨٢/٢٢ (م ت ع)
(٣) لسان العرب ٤٠٩/١٢ (ع ظ م)

كتابه الكريم، وأن الله أعطاهم أفضل العطايا ودل على ذلك السياق الخارجي فعن عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي –صلى الله عليه وسلم– أنه قال: (مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ فَكَأَنَّمَا اسْتُدْرِجَتِ النُّبُوَّةُ بَيْنَ جَنْبَيْهِ إِلَّا أَنَّهُ لَا يُوحَى إِلَيْهِ، وَمَنْ أُعْطِيَ الْقُرْآنَ فَظَنَّ أَنَّ أَحَدًا أُعْطِيَ أَفْضَلَ مِمَّا أُعْطِيَ فَقَدْ حَقَّرَ مَا عَظَّمَ اللهُ، وَعَظَّمَ مَا حَقَّرَ اللهُ).[1].

ثالثا الوحدات النحوية (التركيبية) ودلالتها:

– دلالة الجملة الإسمية المؤكدة بقد في قوله تعالى﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴾ وفيها دلالة على تأكيد عِظم ما أوتي النبي – صلى الله عليه وسلم – وهو سورة الفاتحة والقرآن العظيم، فمن أوتي القرآن الكريم لا أحدا أفضل منه.

وفي التعبير بقوله (آتيناك) ما يؤكد أيضا عظم القرآن الكريم؛ حيث آثر التعبير القرآني (آتيناك) ولم يقل (أعطيناك) وذلك لأن "الإتيان أقوى من الإعطاء في إثبات مفعوله، لأن الإعطاء له مطاوع، يقال: أعطاني فعطوت، ولا يقال في الإيتاء: أتاني، فأتيت، وإنما يقال: آتاني، فأخذت، والفعل الذي له مطاوع أضعف في إثبات مفعوله من الذي لامطاوع"[2] ولذا عبر في الآية بقوله (آتيناك) تنويها وتأكيدا على عظم القرآن الكريم وشأنه.

دلالة أسلوب النهي في قوله تعالى: ﴿ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ ﴾.

(١) الحديث في المعجم الكبير للطبراني ٦٤٩/١٣ (ح ١٤٥٧٥)، وشعب الإيمان ١٧٧/٤ (ح ٢٣٥٢)، ومصنف ابن أبي شيبة في باب فضل القرآن ١٢٠/٦(٢٩٩٥٣)

(٢) البرهان في علوم القرآن للزركشي ٨٥/٤ ٩٥٧ م.

المد في اللغة " يَدُلُّ عَلَى جَرِّ شَيْءٍ فِي طُولٍ، وَاتِّصَالِ شَيْءٍ بِشَيْءٍ فِي اسْتِطَالَةٍ. تَقُولُ: مَدَدْتُ الشَّيْءَ أَمُدُّهُ مَدًّا. وَمَدَّ النَّهْرُ، وَمَدَّهُ نَهْرٌ آخَرُ، أَيْ زَادَ فِيهِ وَوَاصَلَهُ فَأَطَالَ مُدَّتَهُ. وَأَمْدَدْتُ الْجَيْشَ بِمَدَدٍ... وَمَدُّ النَّهَارِ: ارْتِفَاعُهُ إِذَا امْتَدَّ." [١] وعلى ذلك فالمد" أصله الزيادة، وأطلق على بسط الجسم وتطويله. يقال: مد يده إلى كذا، ومد رجله في الأرض. ثم استعير للزيادة من شيء. ومنه مدد الجيش، ومد البحر، والمد في العمر.. واستعير المد هنا إلى التحديق بالنظر والطموح به تشبيها له بمد اليد للمتناول، لأن المنهي عنه نظر الإعجاب مما هم فيه من حسن الحال في رفاهية عيشهم مع كفرهم، أي فإن ما أوتيته أعظم من ذلك فلو كانوا بمحل العناية لاتبعوا ما آتيناك ولكنهم رضوا بالمتاع العاجل فليسوا ممن يعجب حالهم." [٢]

فقوله تعالى " (لا تمدن عينيك) نهي للرسول صلى الله عليه وسلم أن يمد عينيه إلى شيء من متاع الحياة الدنيا الذي مُتِع به الكفار والمعنى على ذلك " لا تطمح ببصرك طموح راغب ولا تدم نظرك (إلى ما متعنا به) من زخارف الدنيا وزينتها ومحاسنها وزهرتها (أزواجا منهم) أصنافا من الكفرة فإن ما في الدنيا من أصناف الأموال والذخائر بالنسبة إلى ما أوتيته مستحقر لا يعبأ به أصلا. "[٣] ويستفاد من هذا النهي حث المسلم على الزهد في الحياة الدنيا ومتاعها الفاني وترغيب له في ماعند الله وهو الباقي.

دلالة أسلوب النهي في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ﴾ فيه نهي للنبي –صلى الله عليه وسلم – عن الحزن على من لم يؤمن به والنهي "عن الحزن عليهم شامل

(١) مقاييس اللغة ٢٦٩/٥ (م د)
(٢) التحرير والتنوير ٨٢/١٤
(٣) إرشاد العقل السليم ٨٩/٥

لكل حال من أحوالهم من شأنها أن تحزن الرسول- عليه الصلاة والسلام- وتؤسفه. فمن ذلك كفرهم كما قال تعالى: ﴿ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا ۝٦ ﴾ [سورة الكهف: ٦] ومنه حلول العذاب بهم مثل ما حل بهم يوم بدر فإنهم سادة أهل مكة، فلعل رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتحسر على إصرارهم حتى حل بهم ما حل من العذاب".[١] و"قال ابن عباس: يريد على ما فاتك من الدنيا، قال أهل المعاني: معناه: لا تحزن لما أنعمت عليهم دونك"[٢] و"في هذا النهي كناية عن قلة الاكتراث بهم وعن توعدهم بأن سيحل بهم ما يثير الحزن لهم، وكناية عن رحمة الرسول –صلى الله عليه وسلم – بالناس. ولما كان هذا النهي يتضمن شدة قلب وغلظة لا جرم اعترضه بالأمر بالرفق للمؤمنين بقوله واخفض جناحك للمؤمنين، وهواعتراض مراد منه الاحتراس وهذا كقوله ﴿ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ ﴾ [سورة الفتح: ٢٩]"[٣] وفي هذا النهي دلالة على الصفح المأمور به وهو"الإعراض عنهم أصلاً ورأسا إلا في أمر البلاغ."[٤]

دلالة جملة الأمر في قوله تعالى: ﴿ وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾

في قوله تعالى: ﴿ وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ أمر للنبي – صلى الله عليه وسلم باللين والتواضع مع المؤمنين أي "تواضع لهم وارفق بهم وألن جانبك لهم وطب نفسا من إيمان الأغنياء"[٥].

(١) التحرير والتنوير ٨٣/١٤

(٢) البسيط للواحدي ٦٥٧/١٢

(٣) التحرير والتنوير ٨٣/١٤، وينظر: إرشاد العقل السليم ٨٩/٥

(٤) نظم الدرر ٨٩/١١

(٥) إرشاد العقل السليم ٨٩/٥

ولما أمره في عشرتهم بما أمر، أتبعه أمره بعشرة أصحابه رضي الله عنهم بالرفق واللين فقال تعالى: {واخفض} أي طأطىء {جناحك للمؤمنين } أي العريقين في هذا الوصف، واصبر نفسك معهم، واكتفِ بهم، فإن الله جاعل فيهم البركة، وناصرك ومعز دينك بهم، وغير محوجك إلى غيرهم، فمن أراد شقوته فلا تلتفت إليهم(١)، وخفض الجناح كناية عن اللين فهو " تمثيل للرفق والتواضع بحال الطائر إذا أراد أن ينحط للوقوع حفض جناحه يريد الدنو، وكذلك يصنع إذا لاعب أنثاه فهو راكن إلى المسالمة والرفق، أو الذي يتهيأ لحضن فراخه. وفي ضمن هذه التمثيلية استعارة مكنية، والجناح تخييل. وقد شاعت هذه التمثيلية حتى صارت كالمثل في التواضع واللين في المعاملة. وضد ذلك رفع الجناح تمثيل للجفاء والشدة. (٢) وفي قوله تعالى ﴿وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ احتفاء بشأن للمؤمنين، ورفع لمنزلتهم، وأن على النبي أن يلقاهم حفيّا بهم، مكرما لهم، متجاوزا عن هناتهم."(٣) هذا وخفض الجناح واللين والتواضع من سمات المؤمنين فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله –صلى الله عليه وعلى آله وسلم– قال: «المؤمن لين حتى تخاله من اللين أحمق»(٤)

تعقيب: في الآيات الكريمة تكاتفت الوحدات الصوتية والصرفية والتركيبية في بث العديد من الدلالات الاجتماعية في نفوس المؤمنين أسوة بنبيهم – صلى الله عليه وسلم – وهو من خاطبه الله في هذه الآيات، وهذه الدلالات الاجتماعية ذات قيمة تأثيرية في أفراد المجتمع وهي: – تنويه المؤمنين في المجتمع الإسلامي بشأن وعِظم القرآن الكريم؛ فقد حوى جميع علوم الأولين، والآخرين مما في جميع

(١) نظم الدرر ٨٩/١١ .

(٢) التحريروالتنوير ٨٣/١٤ .

(٣) التفسير القرآني ٢٦٢/٧ .

(٤) الحديث أخرجه البيهقي في شعب الإيمان، فصل في لين الجانب وسلامة الصدر ٤٤٨/١٠ (ح ٧٧٧٦ الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٣ م.

الكتب السماوية، وحث المؤمنين على تعلمه وحفظه فلا أحد أوتي مثل ما أوتي حافظ القرآن من الشرف العظيم والخيرالكثير، وصدق رسول الله – صلى الله عليه وسلم – إذ يقول «خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ القُرْآنَ وَعَلَّمَهُ»(١)، ويقول أيضا «إِنَّ لِلَّهِ أَهْلِينَ مِنَ النَّاسِ» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَنْ هُمْ؟ قَالَ: «هُمْ أَهْلُ الْقُرْآنِ، أَهْلُ اللَّهِ وَخَاصَّتُهُ»(٢).

- بيان فضل سورة الفاتحة، وهي السبع المثاني والتي تقرأ في كل ركعة في الصلاة، وما فيها من حمد وثناء على الله عزوجل و"الصالحين من عباده، وهي مقسومة بين الله وعبده، وتثني فيه مقاصدها، ويورد كل معنى من معانيها فيه بطرق مختلفة في إيضاح الدلالة عليه في قوالب الألفاظ وجواهر التراكيب الهادية إليه – وغير ذلك من التثنية".(٣)

- حث القادة في المجتمع خاصة على التواضع مع غيرهم من أفراد المجتمع، وحث المؤمنين عامة على التواضع واللين مع غيرهم أسوة بالنبي – صلى الله عليه وسلم – فقد أمر بالتواضع مع المؤمنين، وقد وعد الله عز وجل المؤمن الهين اللين بالجنة في قوله صلى الله عليه وسلم «إِنَّمَا يُحَرَّمُ عَلَى النَّارِ كُلُّ هَيِّنٍ لَيِّنٍ قَرِيبٍ سَهْلٍ» (٤).

---

(١) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب فضائل القرآن، باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه ٩٢/٦ (ح ٥٠٧٢) .

(٢) الحديث أخرجه أحمد في مسنده ١٩/ ٢٩٦ (ح ١٢٢٧٩)، وابن ماجة في سننه، باب فضل من تعلم القرآن وعلمه ٧٨/١ (ح ٢١٥) .

(٣) نظم الدرر ٨٦/١١ .

(٤) الحديث في صحيح ابن حبان، باب ذكر البيان بأن المرء إذا كان هينا لينا ٢١٥/٢ (ح ٤٦٩)، وفي شعب الإيمان، فصل في إنظار المعسر والتجاوز عنه والرفق ١٣/ ٥٣٣ (ح ٧٣٨).

- نهي المؤمنين عن التطلع والتشوف إلى متاع الحياة الدنيا؛ إذ هو متاع زائل لا محالة، وحثهم على الإقبال على عبادة الله سبحانه وتعالى، والزهد في الحياة الدنيا ومتاعها.

الموضع الثاني قوله تعالى:

﴿ فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ ﴾ الشعراء ٢١٣- ٢١٥.

السياق الاجتماعي للآيات: في الآيات الكريمة" وصى عز وجل نبيه عليه السلام بالثبوت على توحيد الله تعالى، وأمره بنذارة عشيرته تخصيصا لهم إذ العشيرة مظنة المقاربة والطواعية. وإذ يمكنه معهم من الإغلاظ عليهم ما لا يحتمله غيرهم فإن البر بهم في مثل هذا الحمل عليهم والإنسان غير متهم على عشيرته. وكان هذا التخصيص مع الأمر العام بنذارة العالم، وروي عن ابن جريج أن المؤمنين من غير عشيرته في ذلك الوقت نالهم من هذا التخصيص وخروجهم منه فنزلت ﴿ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ ، ولما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذه النذارة عظم موقع الأمر عليه وصعب ولكنه تلقاه بالجلد، وصنع أشياء مختلفة كلها بحسب الأمر، فمن ذلك أنه أمر عليا رضي الله عنه بأن يصنع طعاما وجمع عليه بني جده عبد المطلب وأراد نذارتهم ودعوتهم في ذلك الجمع وظهر منه عليه السلام بركة في الطعام، قال علي وهم يومئذ أربعون رجلا ينقصون رجلا أو يزيدونه، فرماه أبو لهب بالسحر فوجم رسول الله صلى الله عليه وسلم وافترق جمعهم من غير شيء، ثم جمعهم كذلك ثانية وأنذرهم ووعظهم فتضاحكوا ولم يجيبوا، ومن ذلك أنه نادى عمه العباس وصفية عمته وفاطمة ابنته وقال لهم: «لا أغني عنكم من الله شيئا إني لكم نذير بين يدي عذاب شديد» في حديث مشهور، ومن

ذلك أنه صعد على الصفا أو أبي قبيس ونادى «يا بني عبد مناف وا صباحاه» فاجتمع إليه الناس من أهل مكة فقال يا بني فلان حتى أتى، على بطون قريش جميعا، فلما تكامل خلق كثير من كل بطن. قال لهم «أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلا بسفح هذا الجبل تريد الغارة عليكم أكنتم مصدقي» قالوا نعم، فإنا لم نجرب عليك كذبا، فقال لهم «فإني لكم نذير بين يدي عذاب شديد" [1]

التحليل اللغوي للآيات الكريمة:

أولا: الوحدات الصوتية وإيحاءتها :

بتأمل الأصوات التي تشكلت منها الآيات الكريمة يُلاحظ غلبة وشيوع الأصوات المجهورة، وهي أصوات سمتها الإعلان والوضوح، والتي جاءت لتعلن وتوضح الدلالات الاجتماعية المستفادة من الآيات الكريمة وهي عبادة الله وحده، إنذار الأقربين وأن المرء مسؤول عنهم أولا قبل غيرهم، التواضع مع المؤمنين أسوة بالنبي – صلى الله عليه وسلم.

كما يُلاحظ أن جميع أصوات الألفاظ الآتية (المعذبين – الأقربين – المؤمنين) أصوات مجهورة، وختمت فواصل الآيات جميعها بالمقطع الطويل (ص ح ح ص) كما انتهت جميعها بصوت النون وهو من الأصوات المتوسطةبين الشدة والرخاوة ومن أكثر الأصوات وضوحا في السمع وفي ذلك إيقاظ وتنبيه وإثارة للمتلقي ؛ليقف على ماترمو إليه الآيات من دلالات لغوية لها أثر في المجتمع.

لفظ (العشيرة) ودلالة أصواتها: من مادة (ع ش ر) والتي تدل في اللغة على أصلين صحيحين "أَحَدُهُمَا فِي عَدَدٍ مَعْلُومٍ ثُمَّ يُحْمَلُ عَلَيْهِ غَيْرُهُ، وَالْآخَرُ يَدُلُّ عَلَى مُدَاخَلَةٍ وَمُخَالَطَةٍ.... أَمَّا الْأَصْلُ الْآخَرُ الدَّالُّ عَلَى الْمُخَالَطَةِ وَالْمُدَاخَلَةِ

(١) المحرر الوجيز ٢٤٥/٤، وينظر: جامع البيان ٤٠٤/١٩، بحر العلوم ٥٧٠/٢،

فَالْعِشْرَةُ وَالْمُعَاشَرَةُ. وَعَشِيرُكَ: الَّذِي يُعَاشِرُكَ.. . وَإِنَّمَا سُمِّيَتْ عَشِيرَةُ الرَّجُلِ لِمُعَاشَرَةِ بَعْضِهِمْ بَعْضًا، حَتَّى الزَّوْجُ عَشِيرُ امْرَأَتِهِ"(١).

والعشيرة على ما قال الجوهري: رهط الرجل الأدنون. وقال الراغب: "العَشِيرَةُ: أهل الرجل الذين يتكثّر بهم. أي:يصيرون له بمنزلة العدد الكامل، وذلك أنّ العَشَرَةَ هو العدد الكامل. قال تعالى: ﴿وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ﴾ [التوبة/ ٢٤]، فصار العَشِيرَةُ اسما لكلّ جماعة من أقارب الرجل الذين يتكثّر بهم". (٢)

وبتأمل الأصوات التي تكونت منها لفظة عشيرة يتبين مدي مناسبها لمعنى العشيرة فالعين: ومخرجها وسط الحلق(٣)، وهي " أنصع الحروف جرسا وألذها سماعا" (٤) وهي صوت مجهور يتميز بنصاعته على حد تعبير الخليل بن أحمد " فوجدت العين أنصع الحرفين فابتدأت به ليكون أحسن في التأليف "(٥)، وهي صوت متوسط بين الشدة والرخاوة(٦) يقول عنه ابن سينا " وأما العين فيفعلها حفز الهواء...إلى فوق ليتردد في وسط رطوبة يتدحرج فيها من غيرأن يكون هذا الحفز خاصا بجانب "(٧) والشين: ومخرجها: من وسط اللسان وتوصف بالتفشي وهو "كثرة انتشارخروج الريح بين اللسان والحنك وانبساطه في الخروج عند النطق بها."(٨) والصائت الطويل فيها فيه دلالة على شمولها لكل أفرادها، كما أن صوت

(١) مقاييس اللغة ٣٦٢/٤

(٢) المفردات صـ ٥٦٧ وينظر: روح المعاني ١٣١/١٠

(٣) ينظر: الكتاب ٤/ ٤٣٣

(٤) لسان العرب ٣/٨ أول باب العين، وينظر: تهذيب اللغة ٤٥/١

(٥) العين ١٧/١

(٦) ينظر الكتاب ٤٣٥/٤ وفيه " وأما العين فبين الرخوة والشديدة، تصل إلى درجة الترديد فيهما لشبهها بالحاء "

(٧) رسالة أسباب حدوث الحروف لابن سينا صـ ٧٢

(٨) الرعاية ص/ ٤٦

الراء: بصفة التكرار الاسترسال يصور هذا الشمول أيضا، وفي توالي المقاطع الصوتية المفتوحة في قوله (عشيرتك) (ص ح /ص ح ح /ص ح/ ص ح /ص ح) مايرسم ويصور مدي التواصل والاختلاط بين أفراد هذه العشيرة الواحدة فهم دائما مع بعضهم البعض في جميع أحوال المعيشة، كما أنهم في حالة من التكاتف والتماسك والدعم والسند بعضهم لبعض في الأحزان قبل الأفراح.

ثانيا الوحدات الصرفية ودلالاتها:

دلالة الجمع (الْمعَذَّبين) في قوله تعالى: ﴿ فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾ ﴾ .

الْمعَذَّبِين: جمع المُعذَب اسم مفعول من عذَّب، و"العَذَابُ: النَّكَالُ والعُقُوبة. يُقَالُ: عَذَّبْتُه تَعْذِيباً وعَذَاباً"[1] واسم المفعول فيه دلالة على الحدوث والثبوت والاستمرارية [2]، وورد التعبيرالقرآني بصيغة الجمع فلم يقل مُعذَبا بالإفراد، ولم يعبربالفعل فيقل (فتعذب)؛ وذلك إشارة إلى أن المشركين أو الكفار كثيرون والذي يدعو مع الله إلها آخر يكون منه، وفي ذلك ترهيب من الشرك به وترغيب في إخلاص العباده له وحده..

الأقربين: جمع الأقرب وهواسم تفضيل" وأَقْرِباؤُكَ وأَقارِبُكَ وأَقْرَبُوكَ: عَشِيرَتُكَ الأَدْنَون[3]" روي عن عائشة قالت: لما نزلت هذه الآية: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يا صَفِيَّةُ بِنْتَ عِبْدِ المُطَّلِبِ، يا فَاطِمَةَ بِنْتَ

(١) لسان العرب ٥٨٥/١ (ع ذ ب) وفي المقاييس ٢٦٠/٤ (ع ذ ب): وَنَاسٌ يَقُولُونَ: أَصْلُ الْعَذَابِ الضَّرْبُ. وَاحْتَجُّوا بِقَوْلِ زُهَيْرٍ: وَخَلْفَهَا سَائِقٌ يَحْدُو إِذَا خَشِيَتْ. .. مِنْهُ الْعَذَابَ تَمُدُّ الصُّلْبَ وَالْعُنُقَا قَالَ: ثُمَّ اسْتُعِيرَ ذَلِكَ فِي كُلِّ شِدَّةٍ.

(٢) ينظر معاني الأبنية صـ٥٢

(٣) تاج العروس ٨/٤ (ق رب)

مُحَمَّدٍ يا بَنِي عَبْدِ المُطَّلِبِ إنِّي لا أمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئا، سَلُوني مِنْ مالي ما شِئْتُمْ"(١).

ووصف العشيرة بالأقربين فيه دلالة على أن كل من كان أقرب فهو أولى، وفي قوله تعالى: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ " داعية أخرى تدعوهم إلى الاستجابة للرسول، وفتح عقولهم وقلوبهم لما يدعوهم إليه.. إنهم عشيرته، وهم أقرب الناس إليه من عشيرته، وهو- بحكم هذه الصلة- لا يريد لهم إلا الخير، ولا يرتاد بهم إلا مواقع الرشاد.. وبخاصة في تلك البيئة التي يعيش كل فرد فيها من أجل أهله وعشيرته، لأن حياته مرتبطة بها، وإن أي خطر يتهدّدها هو خطر عليه، وعلى كل فرد فيها"(٢) .

دلالة صيغة(افتعل)اتبعك في قوله تعالى: ﴿ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ .

صيغة افتعل في اللغة: تأتي صيغة افتعل في اللغة لستة معان وهي: الاتخاذ، الاجتهاد والطلب، التشارك، الإظهار، المبالغة فى معنى الفعل، مطاوعة الثلاثىّ كثيراً(٣) .

ومعناها في سياق الآية القرآنية هو الاجتهاد والطلب في اتباع النبي صلى الله عليه وسلم وعلى ذلك فالمعنى: ألن جانبك وتواضع لمن اجتهد في اتباعك من المؤمنين. ويمكن القول بأنه في قوله "{لمن اتبعك} احترز بالتعبير بصيغة

(١) جامع البيان١٩/٤٠٥، الدر المنثور ٦/٣٢٤، والكشاف ٣/٣٤٠ والحديث أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، في كتاب الإيمان، بَابٌ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: {وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ} ١/١٩٢ (ح ٢٠٥).

(٢) التفسير القرآني ١٠/١٨٤.

(٣) شذا العرف في فن الصرف صـ ٣٢)

الافتعال عن مثل أبي طالب ممن لم يؤمن أو آمن ظاهراً وكان منافقاً أو ضعيفاً بالإيمان فاسقاً؛ وحقق المراد بقوله: {من المؤمنين } أي الذين صار الإيمان لهم صفة راسخة سواء كانوا من الأقربين أو الأبعدين"[١] .

ثالثا الوحدات النحوية (التركيبية) ودلالتها:

– دلالة أسلوب النهي في قوله تعالى: ﴿ فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴾ .

النهي فيه دلالة على وجوب إخلاص العبادة لله وحده من المؤمنين أسوة بنبيهم – صلى الله عليه وسلم – حيث " نهى تعالى رسوله أصلا وأمته أسوة له في ذلك، عن دعاء غير الله، من جميع المخلوقين، وأن ذلك موجب للعذاب الدائم، والعقاب السرمدي، لكونه شركا، ﴿ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾ المائدة: ٧٢.

والنهي عن الشيء، أمر بضده، فالنهي عن الشرك، أمر بإخلاص العبادة لله وحده لا شريك له، محبة، وخوفا، ورجاء، وذلا وإنابة إليه في جميع الأوقات"[٢].

و"خوطب به النبي صلّى الله عليه وسلّم مع استحالة صدور المنهي عنه عليه الصلاة والسلام تهييجا وحثا لازدياد الإخلاص فهو كناية عن أخلص في التوحيد حتى لا ترى معه عز وجل سواه. وفيه لطف لسائر المكلفين ببيان أن الإشراك من القبح والسوء بحيث ينهي عنه من لم يمكن صدوره عنه فكيف بمن عداه. وكأن الفاء فصيحة أي إذا علمت ما ذكر فلا تدع مع الله إلها آخر وَأَنْذِرْ

(١) نظم الدرر ١٠٩/١٤

(٢) تيسير الكريم الرحمن صـ ٥٩٨

العذاب الذي يستتبعه الشرك والمعاصي (عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) أي ذوي القرابة القريبة أو الذين هم أكثر قربا إليك من غيرهم."[١] وقيل " خطاب النبي – صلى الله عليه وسلم – بهذا مع كونه منزهاً عنه معصوماً منه، لحث العباد على التوحيد، ونهيهم عن شوائب الشرك، وكأنه قال: أنت أكرم الخلق عليّ وأعزهم عندي، ولو اتخذت معي إلهاً لعذبتك، فكيف بغيرك من العباد؟ قال في حاشية الجمل: الخطاب له والمقصود غيره. "[٢] ولله در البقاعي إذ يقول "وخاطب نبيه عليه الصلاة والسلام وهو أكرم الخلق لديه، وأعزهم عليه، ليكون لطفًا لغيره فيما يأتيه من الإنذار، فيكون الوعيد أزجر له، ويكون هو له أقبل" [٣].

دلالة جملة الأمر في قوله تعالى: ﴿ وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ﴾

لما أمرالله سبحانه وتعالى نبيه – صلى الله عليه وسلم " بما فيه كمال نفسه، أمره بتكميل غيره فقال: {وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ} الذين هم أقرب الناس إليك، وأحقهم بإحسانك الديني والدنيوي، وهذا لا ينافي أمره بإنذار جميع الناس، كما إذا أمر الإنسان بعموم الإحسان، ثم قيل له " أحسن إلى قرابتك " فيكون هذا خصوصا دالا على التأكيد، وزيادة الحق، فامتثل صلى الله عليه وسلم، هذا الأمر الإلهي، فدعا سائر بطون قريش، فعمم وخصص، وذكرهم ووعظهم، ولم يُبْق صلى الله عليه وسلم من مقدوره شيئا، من نصحهم، وهدايتهم، إلا فعله، فاهتدى من اهتدى، وأعرض من أعرض. وقيل " خصهم لنفي التهمة إذ الإنسان يساهل قرابته أو ليعلموا أنه لا يغني عنهم من الله شيئاً

(١) روح المعاني ١٣١/١٠
(٢) فتح البيان ٤٢٣/٩
(٣) نظم الدرر ١٠٦/١٤

وأن النجاة في اتباعه دون قربة."[1] وفي ذلك يقول الألوسي" وجه تخصيص عشيرته صلّى الله تعالى عليه وسلّم الأقربين بالذكر مع عموم رسالته عليه الصلاة والسلام دفع توهم المحاباة وأن الاهتمام بشأنهم أهم وأن البداءة تكون بمن يلي ثم من بعده كما قال سبحانه: {قاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ}[اتوبة: ١٢٣]" [2].

دلالة أسلوب الأمر في قوله تعالى: ﴿ وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾

في قوله تعالى: ﴿ وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ أمر له صلّى الله تعالى عليه وسلّم بالتواضع لكل من آمن به من المؤمنين فيشمل عشيرته وغيرهم ممن يطلق عليه اسم مؤمن.

واختلف في دلالة (من) في الآية: فقيل:" بيانية لأن من اتبع في أصل معناه أعم ممن اتبع لدين أو غيره ففيه إبهام وبذكر المؤمنين المراد بهم المتبعون للدين زال ذلك، وقيل: للتبعيض بناء على شيوع من اتبع فيمن اتبع للدين وحمل المؤمنين على من صدق باللسان ولو نفاقا ولا شك أن المتبعين للدين بعض المؤمنين بهذا المعنى، وجوز أن يحمل على من شارف وإن لم يؤمن ولا شك أيضا أن المتبعين المذكورين بعضهم وفي الآية على القولين أمر بالتواضع لمن اتبع للدين.. .وقال الطيبي: الإجراء على أفانين البلاغة أن يحمل الكلام على أسلوب وضع المظهر موضع المضمر وإن الأصل وأنذر عشيرتك الأقربين. واخفض جناحك لمن اتبعك منهم فعدل إلى المؤمنين ليعم ويؤذن أن صفة الإيمان هي التي يستحق أن يكرم صاحبها ويتواضع لأجلها من اتصف بها سواء كان من عشيرتك أو غيرهم وليس هذا بالبعيد لكني أختار

(١) تفسير النسفي ٥٨٦/٢.

(٢) روح المعاني ١٣٢/١٠، وينظر: المحرر الوجيز ٢٤٥/٤.

كون من بيانية وإن عموم من اتبعك باعتبار أصل معناه.وقد أخرج ابن جرير وابن المنذر عن ابن جريج قال: لما نزلت {وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ} بدأ صلّى الله عليه وسلّم بأهل بيته وفصيلته فشق ذلك على المسلمين فأنزل الله تعالى: {واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين }[١] وعلى ذلك فقوله: (من المؤمنين) هو "بيان لمن اتبعك فإن المراد المتابعة في الدين وهي الإيمان. والغرض من هذا البيان التنويه بشأن الإيمان كأنه قيل: واخفض جناحك لهم لأجل إيمانهم كقوله تعالى: ﴿وَلَا طَٰٓئِرٖ يَطِيرُ بِجَنَاحَيۡهِ﴾ [الأنعام: ٣٨] وجبر لخاطر المؤمنين من قرابته. ولذلك لما نادى في دعائه صفية قال: «عمة رسول الله» ولما نادى فاطمة قال: «بنت رسول الله» تأنيسا لهما، فهذا من خفض الجناح، ولم يقل مثل ذلك للعباس لأنه كان يومئذ مشركا"[٢].

تعقيب: تكاتفت الوحدات الصوتية والصرفية والتركيبية في الآيات الكريمة في بث العديد من الدلالات الاجتماعية وهي: تنبيه أفراد المجتمع إلى وجوب الإقرار بوحدانية الله عز وجل، وإخلاص العباده له، والبراءه من أهل الشرك، وتنبيههم إلى حرمة دعاء غير الله سبحانه وتعالى، وبيان أن من مات يدعو غيره تعالى سيكون من المعذبين لا محالة، وفي ذلك ترغيب في الدخول في الدين الإسلامي وترهيب من الشرك بالله.

- الإنسان مسؤول عن أهله الأقربين أكثر مما هو مسؤول عن غيرهم وهو مايفهم من قوله تعالى: {وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ} فقرابة الفرد هم ألصق الناس به، وهم أعظم الناس حقا عليه، وهم أحق الناس ببره، كما أنهم أكثر الناس غيرة عليه، وفي أكثر من موضع في القرآن الكريم جاء الحث

(١) روح المعاني ١٣٣/١٠

(٢) التحرير والتنوير ٢٠٣/١٩

بضرورة إعطائهم حقهم ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴾ ﴿ فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ ۚ ﴾ (الروم ٣٨) وفي ذلك تقرير لقاعدة البدء بالأقرب في كل شيء.

- الحث على لين الجانب والتواضع للمؤمنين وخاصة من دخلوا الإسلام حديثا.

المبحث الثاني

من الآيات الدالة على حث المؤمنين

على خُلُق التواضع مع غيرهم من أفراد المجتمع

وردت آيات في القرآن الكريم تحث المؤمنين على التواضع مع غيرهم من أفراد المجتمع ومن ذلك: الموضع الأول: – قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ٥٤ ﴾ (المائدة ٥٤).

السياق الاجتماعي للآية: (سبب نزول الآية وعلاقتها بما قبلها):

بعد هذه المراقبة التي اطلع منها المسلمون على هؤلاء المنافقين الذين ارتدّوا على أدبارهم، وألقوا بأنفسهم فى مجتمع اليهود وغيرهم، ممن يكيدون للإسلام، ويبيّتون الشرّ للمسلمين، وبعد أن عاين المسلمون ما وقع أو ما سيقع للمنافقين من سوء حال وشر منقلب، وخسران للدنيا والآخرة– بعد هذا كان على المسلمين أن يراقبوا أنفسهم، وأن يأخذوا حذرهم من أن يردوا هذا المورد الآسن الآثم.. فجاء قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ ﴾ منبها لهم ومحذّرا، أن من يرتدّ منهم عن دينه كما ارتدّ هؤلاء المنافقون الذين عرفوا أمرهم ومصيرهم، فستكون عاقبة المرتد منهم هى نفس عاقبة أولئك المنافقين: النّدم والحسرة والخزي والخسران المبين.[1] و"في نزول هذه الآية في أواخر حياة الرسول صلى الله عليه وسلم إيماء إلى ما سيكون من ارتداد كثير من العرب عن الإسلام مثل أصحاب الأسود العنسي باليمن، وأصحاب طلحة بن خويلد في بني أسد، وأصحاب مسيلمة بن حبيب الحنفي باليمامة. ثم إلى ما كان بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم من

(١) التفسير القرآني للقرآن ١١١٩/٣.

ارتداد قبائل كثيرة مثل فزارة وغطفان وبني تميم وكندة ونحوهم"[١] ووضح سبحانه وتعالى مواصفات القوم الذين يأتي بهم الله إذا ارتد المؤمنون عن دينهم في قوله: ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ﴾ وهي مواصفات ست: يحبهم الله، ويحبون الله، أذلة على المؤمنين، أعزة على الكافرين، يجاهدون في سبيل الله، لا يخافون لومة لائم.

واختلف في القوم من هم؟ "فقال علي بن أبي طالب والحسن وقتادة والضحاك وابن جريج: هم أبو بكر وأصحابه لأنهم هم الذين قاتلوا أهل الردة. وقالت عائشة رضي الله عنها: مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وارتدت العرب، واشتهر النفاق، ونزل بأبي ما لو نزل بالجبال الراسيات لهاضها. وقال السدي: نزلت الآية في الأنصار لأنهم هم الذين نصروا الرسول وأعانوه على إظهار الدين. وقال مجاهد: نزلت في أهل اليمن. وروي مرفوعا أن النبي صلى الله عليه وسلم لما نزلت هذه الآية أشار إلى أبي موسى الأشعري وقال: هم قوم هذا.

وقال آخرون: هم الفرس لأنه روي أن النبي صلى الله عليه وسلم لما سئل عن هذه الآية ضرب بيده على عاتق سلمان وقال: هذا وذووه، ثم قال: «لو كان الدين معلقا بالثريا لناله رجال من أبناء فارس»"[٢].

التحليل اللغوي للآيات الكريمة:

أولا: الوحدات الصوتية وأثرها على المتلقين من أفراد المجتمع:

يلاحظ في الآية الكريمة غلبة الأصوات المجهورة وهي أصوات سمتها الإعلان والوضوح وهو مايتناسب مع سياق الآية وهدفها وهو تحذير المؤمنين من فعل المنافقين والرجوع عن دين الله تعالى، وبيان صفات القوم الذين يأتي بهم الله

(١) التحرير والتنوير ٦/٢٣٥

(٢) مفاتيح الغيب ١٢/٣٧٨

تعالى بدلا منهم – المحبة والعزة والذلة والمجاهدة وعدم الخوف من اللوم – وهي صفات تحتاج إلى أصوات شديدة مجهورة تؤثر في المتلقي للنص القرآني فيرتدع عن فعل المنافقين.

الفاصلة القرآنية: (عليم) انتهت الآية الكريمة بالمقطع الطويل المغلق (ص ح ح ص) (عليم) والذي يحاكي سعة وكمال علمه سبحانه وتعالى بعباده وبحال من ارتد منهم، وكذلك كمال علمه بالقوم الذين سوف يأتي بهم في حالة ارتداد المؤمنين عن دينهم كما فعل المنافقون، فسبحانه وتعالى لايعجزه شيء في السماوات ولا في الأرض فلا يعزب عنه مثقال ذرة فيهما، وفي ذلك عظيم الأثر على سلوك الفرد وحثه على الثبات على دينه الذي أصبح من أهله وهو دين الرشاد. ولله در الرازي إذ يقول:"ولما أخبر الله تعالى أنه سيجيء بأقوام هذا شأنهم وصفتهم أكد ذلك بأنه كامل القدرة فلا يعجز عن هذا الموعود، كامل العلم فيمتنع دخول الخلف في أخباره ومواعيده"(١).

يَرْتَد: تدور مادة (ردد) حول معنى الرجوع: " تَقُولُ: رَدَدْتُ الشَّيْءَ أَرُدُّهُ رَدًّا. وَسُمِّيَ الْمُرْتَدُّ لِأَنَّهُ رَدَّ نَفْسَهُ إِلَى كُفْرِهِ."(٢)– وبالنظر إلى أصوات الجذر(ردد) يتضح أن: صوت الراء يتصف بالجهر والتكرار ويتكون" بامتداد طرف اللسان حتي يمس طرفه المرتد لثة الثنايا العليا أكثر من مسَّة سريعة على التوالي، ويخرج كأنه موجات متتالية تكرارا، وهذا هو معنى الاسترسال"(٣) وهو مايجسد عملية الارتداد والرجوع إلى ماكان عليه المنافق، وأما صوت الدال وهي صوت شديد مجهور وتعبرعن امتداد طولي دقيق مع انحصار، أي احتباس عن العِرَض(٤) فقد صورت

(١) مفاتيح الغيب ٣٨٢/١٢.
(٢) مقاييس اللغة (ر د)، وينظر: الصحاح ٤٧٣/٢ (ر د د).
(٣) المعجم الاشتقاقي ٢٩/١.
(٤) المعجم الاشتقاقي ٢٢٨/١.

ضيق أفق هذا المنافق وسجنه وحصره في غيابات حمقه وجهله وكفره؛ فالارتداد، معناه الرجوع إلى وراء، والعودة من المكان الذي كان قد تحرك منه المرتدّ إلى الأمام.. وهذا يعنى أنه يهدم ما بنى، وينقض ما غزل ولا يفعل ذلك إلا سفيه أحمق! وفى إضافة الدّين إلى المؤمن، وبلفظ المفرد. هكذا: «عَنْ دِينِهِ» ما يلفت المؤمن إلى هذا الدين الذي دخل فيه، وأصبح من أهله، وأنه دينه هو، وثمرته عائدة عليه وحده، وأنه الدّين الذي ينبغى أن يعيش فيه، ويشتدّ حرصه عليه. إذ هو الدين الذي يدين به كل عاقل.. إنه دينه، إن كان من أهل العقل والرشاد"[١].

ويضاف لماسبق المقاطع الصوتية لكلمة يَرْتَدَّ (ص ح ص/ص ح ص / ص ح) فقد رسمت مقاطع الكلمة سلوك المنافق المرتد عن دينه؛ حيث بدأت بمقطعين مغلقين على التوالي صورا انغلاق هذا المرتد ورجوعه إلى حالته الأولى من الكفر، وانتهت بمقطع مفتوح صور انفتاح هذا الشخص المرتد على المعاصي والذنوب دون رادع ولا زاجر.

ثانيا الوحدات الصرفية ودلالاتها:

دلالة فصيلة الزمن: – دلالة صيغة المضارع: – في قوله تعالى " يحبهم ويحبونه".

الحُبُّ": نَقِيضُ البُغْضِ. والحُبُّ: الودادُ والمَحَبَّةُ، وَكَذَلِكَ الحِبُّ بِالْكَسْرِ."[٢] وأصله في اللغة اللزوم والثبات واشْتِقَاقُهُ مِنْ أَحَبَّهُ إِذَا لَزِمَهُ [٣] ومعنى حب الله لهم: " دعوتهم إلى الإسلام، وشرح صدورهم له، وتثبيت أقدامهم فيه.. لأنه سبحانه وتعالى هو الذي أحبّهم، وهو الذي اختارهم ودعاهم.. وهذا فضل عظيم، ودرجة من الرضا، لا ينالها إلا من أكرمه الله، واستضافه، وخلع عليه حلل السعادة

(١) التفسير القرآني ١١١٩/٣.

(٢) لسان العرب ٢٨٩/١ (ح ب ب).

(٣) مقاييس اللغة ٢٦/٢ (ح ب)، وينظر: الصحاح١٠٥/١(ح ب ب).

والرضوان.. جعلنا الله من أهل محبته، وضيافته.أما حبّهم هم لله، فهو فى استجابة دعوته، وامتثال أمره، والولاء له، ولرسوله وللمؤمنين.."[١] ومحبة الله عبده رضاه عنه وتيسير الخير له، ومحبة العبد ربه انفعال النفس نحو تعظيمه والأنس بذكره وامتثال أمره والدفاع عن دينه. فهي صفة تحصل للعبد من كثرة تصور عظمة الله تعالى ونعمه حتى تتمكن من قلبه، فمنشؤها السمع والتصور"[٢].

وجاء التعبير القرآني بصيغة المضارعة دلالة على التجدد الاستمراري الذي تضفيه هذه الصيغة وهو حب الله لهم وسرعة استجابتهم لهذا الحب باتباع أوامره تعالى، واجتناب نواهيه، وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم. وفي تقديم محبته تعالى لعباده دليل على أن هذه المحبة هي أصل كل خير وسعادة للمؤمنين الذين يحبهم الله.

- يُجاهدون -

الجهاد: في اللغة معناه المشقة والطاقة[٣] والجِهاد: الدعاء إلى الدين وقتالُ من لم يقبله حقيقة أو حكماً بأداء الجزية أو المصالحة[٤] وقوله: يجاهدون في سبيل الله "هي من أكبر العلامات الدالة على صدق الإيمان. والجهاد: إظهار الجهد، أي الطاقة في دفاع العدو، ونهاية الجهد التعرض للقتل، ولذلك جيء به على صيغة مصدر فاعل لأنه يظهر جهده لمن يظهر له مثله"[٥] فالتعبير بالصيغة الفعلية يجاهدون فيه دلالة على التجدد والاستمرارية في جهاد المسلمين في سبيل الله وبذلهم أقصى جهدهم في ذلك الأمر حفاظا على الدين الإسلامي فلم يبخلوا بأموالهم ولا بأنفسهم في سبيل نصرة الدين الحنيف، وهذا ماينبغي أن يكون

(١) التفسير القرآني ١١٢٠/٣ .
(٢) التحرير والتنوير ٢٣٦/٦ .
(٣) مقاييس اللغة ٤٨٧/١، ولسان العرب ١٣٣/٣ (ج هـ د).
(٤) التعريفات الفقهية ٧٤ .
(٥) التحرير والتنوير ٢٣٨/٦.

عليه الفرد المسلم في مجتمعه إذا دعاه داع للجهاد في سبيل الله فعليه الامتثال وبذل كل مايملك في سبيل نصرة هذا الدين الذي أصبح من أهله.

دلالة المضارع المنفي: لا يخافون

يخافون فعل مضارع من مادة (خوف) والتي تدل على " الذُّعْرِ وَالْفَزَعِ. يُقَالُ خِفْتُ الشَّيْءَ خَوْفًا وَخِيفَةً...وَيُقَالُ خَاوَفَنِي فُلَانٌ فَخُفْتُهُ، أَيْ كُنْتُ أَشَدَّ خَوْفًا مِنْهُ"(١) والتعبير بالفعل المضارع المنفي (لا يخافون) فيه دلالة على استمرارية شجاعة وبسالة المسلمين وعدم خوفهم البته من لوم اللائمين. وفي إيثار التعبير القرآني لآداة النفي (لا) خاصة دون غيرها من أدوات النفي مثل (لن) سر من أسرارإعجاز القرآن الكريم؛ إذ إن النفي(بلا)أطول من النفي(بلن) لأن (لن) تنفي المستقبل القريب بخلاف (لا) فإنها تنفي المستقبل المتطاول وكذلك الحال(٢)، وعلى ذلك يكون المعنى أنهم لا يخافون على مر العصور والأزمنة إلى قيام الساعة.

السياق الاجتماعي: لقوله تعالى:﴿يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ﴾: فيه بيان لما يجب أن يكون عليه حال الفرد المسلم في المجتمع الذي يعيش فيه؛ فعليه أن يكون قويا شجاعا يبذل نفسه وماله في سبيل دينه، ولايخاف من لوم اللائمين بل يمضي في طريقه مستعينا بالله واثقا من نصر الله له في كل خطواته. وفي ذلك تربية إيمانية للفرد المسلم فعليه ألا يخاف في الله لوم الناس، وذلك أن المنافقين كانوا يراقبون الكفار ويخافون لومهم، وروي عن عبادة بن الصامت قال:

(١) مقاييس اللغة ٢/٢٣٠ (خ وف).

(٢) ينظر البرهان في علوم القرآن ٢/٤٢٠ –٤٢١، معاني النحو، د. فاضل صالح السامرائي، ٣/٣٦١.

"بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة وأن نقوم أو نقول بالحق حيثما كنا لا نخاف في الله لومة لائم"(١) .

دلالة الجمع (أذلة / أعزة): وسر الجمع بين الوصفين المتقابلين: وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ

(أَذِلَّة) جمع قلة على وزن (أَفعلة)(٢) وهي جمع للوصف (ذليل) من مادة (ذ ل ل) والتي تدل على" الْخُضُوعِ، وَالِاسْتِكَانَةِ، وَاللِّينِ. فَالذُّلُّ: ضِدُّ الْعِزِّ. وَهَذِهِ مُقَابَلَةٌ فِي التَّضَادِّ صَحِيحَةٌ، تَدُلُّ عَلَى الْحِكْمَةِ الَّتِي خُصَّتْ بِهَا الْعَرَبُ دُونَ سَائِرِ الْأُمَمِ; لِأَنَّ الْعِزَّ مِنَ الْعَزَازِ، وَهِيَ الْأَرْضُ الصُّلْبَةُ الشَّدِيدَةُ. وَالذُّلُّ خِلَافُ الصُّعُوبَةِ." (٣) وفرَّق الراغب بين الذل بضم الذال والذل بكسرها فقال "الذُّلُّ: ما كان عن قهر، يقال: ذَلَّ يَذِلُّ ذُلًّا، والذِّلُّ، ما كان بعد تصعّب، وشماس من غير قهر، يقال: ذَلَّ يَذِلُّ ذِلًّا. وقوله تعالى: ﴿ وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ ﴾ [الإسراء/ ٢٤]، أي: كن كالمقهور لهما، وقرئ (جناح الذِّلِّ) أي: لن وانقد لهما... والذُّلُّ متى كان من جهة الإنسان نفسه لنفسه فمحمود، نحو قوله تعالى: ﴿ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ } [المائدة/ ٥٤]، وقال: ﴿ وَلَقَدۡ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدۡرٖ وَأَنتُمۡ أَذِلَّةٞۖ ﴾ [آل عمران/ ١٢٣]، وقال: ﴿ فَٱسۡلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلٗاۚ ﴾ النحل [النحل/ ٦٩]، أي: منقادة غير متصعّبة" (٤).

و(أَعِزَّة) جمع قلة على وزن (أفعلة) وهي جمع للوصف عزيز وهو من اتصف بالقوة والشدة من مادة (ع زز) والتي تدل على "شِدَّةٍ وَقُوَّةٍ وَمَا

(١) ينظر: معالم التنزيل ٧٢/٣ .
(٢) ينظر: همع الهوامع ٣٤٨/٣، وشذا العرف صـ ٨٦ .
(٣) مقاييس اللغة ٣٤٥/٢ (ذل) .
(٤) المفردات صـ ٣٣٠ .

ضَاهَاهُمَا، مِنْ غَلَبَةٍ وَقَهْرٍ. قَالَ الْخَلِيل: الْعِزَّةُ لِلَّهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ، وَهُوَ مِنَ الْعَزِيزِ... وَيُقَالُ عَزَّ الرَّجُلُ بَعْدَ ضَعْفٍ وَأَعْزَزْتُهُ أَنَا: جَعَلْتُهُ عَزِيزًا"[1]. وفي جمع (ذليل)، و(عزيز) على أذلة وأعزة بوزن (أفعلة) من جموع القلة تعظيما لهذا العدد القليل، والإشعار بأن مايتصف به من صفات جليلة وعظيمة تجعله معادلا للعدد الكثير، فسياق الآية يدل على أن التكثير ليس مرادا؛ وعلى ذلك فالأذلة والأعزة في الآية الكريمة وصفان متقابلان وصف بهما القوم للمبالغة في وصفهم بالرفق واللين والرحمة مع المؤمنين، وكذلك بالقوة والشدة والغلظة والقهر والغلبة مع الكافرين، كما أن فيه دلالة اجتماعية وهي بيان ماينبغي أن يكون عليه المؤمن من صفات يسير عليها في حياته وتعاملاته مع غيره و"إثبات الوصفين المتقابلين للقوم فيه إيماء إلى أن صفاتهم تسيرها آراؤهم الحصيفة فليسوا مندفعين إلى فعل ما إلا عن بصيرة، وليسوا ممن تنبعث أخلاقه عن سجية واحدة بأن يكون لينا في كل حال، وهذا هو معنى الخلق الأقوم، وهو الذي يكون في كل حال بما يلائم ذلك الحال.[2] وفي الجمع بين الوصفين– ذليلا وعزيزا – للإنسان في آن واحد دلالة على أن الله سبحانه وتعالى " لا يريد أن يطبعنا على لون واحد من الانفعال، ولكنه يريد لنا أن ننفعل تبعاً للموقف. فعندما يحتاج الموقف إلى أن يكون المؤمن عطوفاً فالمؤمن يواجه الموقف بالعاطفة. وعندما يحتاج الموقف إلى الشدة فالمؤمن يواجه الموقف بالشدة. وإن احتاج الموقف إلى الكرم، فالمؤمن يقابل الموقف بالكرم. فالمسلم – إذن – ينفعل انفعالاً مناسباً لكل موقف، وليس مطبوعا على انفعال واحد. ولو انطبع المؤمن على موقف ذلة دائمة فقد يأتي لمواجهة

(١) مقاييس اللغة ٨٣/٤ (ع ز).

(٢) التحرير والتنوير ٢٣٧/٦ – ٢٣٧ .

موقف يتطلب العزة فلا يجدها ولو طُبع المؤمن على عزة دائمة فقد يأتي لمواجهة موقف يتطلب الذلة فلا يجدها؛ لذلك جعل الحق قلب المؤمن ليناً قادراً على المواجهة كل موقف بما يناسبه(١).

دلالة التنكير في (لومة) وفي(لائم)

اللومة المرة الواحدة من اللوم " وَهُوَ الْعَذْلُ. تَقُولُ: لُمْتُهُ لَوْمًا، وَالرَّجُلُ مَلُومٌ. وَالْمُلِيمُ: الَّذِي يَسْتَحِقُّ اللَّوْمَ. وَاللَّوْمَاءُ: الْمَلَامَةُ، وَرَجُلٌ لُومَةٌ: يَلُومُ النَّاسَ. وَلُومَةٌ يُلَامُ"(٢).

والمراد منها في هذا السياق القرآني هو " مطلق المصدر، كاللوم لأنها لما وقعت في سياق النفي فعمت زال منها معنى الواحدة كما يزول معنى الجمع في الجمع المعمم بدخول ال الجنسية لأن (لا) في عموم النفي مثل (ال) في عموم الإثبات، أي لا يخافون جميع أنواع اللوم من جميع اللائمين إذ اللوم منه: شديد، كالتقريع، وخفيف واللائمون: منهم اللائم المخيف، والحبيب فنفى عنهم خوف جميع أنواع اللوم. ففي الجملة ثلاثة عمومات: عموم الفعل في سياق النفي، وعموم المفعول، وعموم المضاف إليه. وهذا الوصف علامة على صدق إيمانهم حتى خالط قلوبهم بحيث لا يصرفهم عنه شيء من الإغراء واللوم لأن الانصياع للملام آية ضعف اليقين والعزيمة. ولم يزل الإعراض عن ملام اللائمين علامة على الثقة بالنفس وأصالة الرأي.(٣) والتنكير في اللومة وفي اللائم " مبالغة كأنه قيل: لا يخافون شيئا قط من لوم أحد من اللائمين وإن كانت عظيمة وكان هو عظيماً، فبسبب ذلك هم صلاب في دينهم إذا

(١) تفسير الشعراوي ٣/٢٣١٥

(٢) مقاييس اللغة ٥/٢٢٢ (ل وم)

(٣) التحرير والتنوير ٦/٢٣٨

شرعوا في أمر من أمورالدين – أمر بالمعروف أو نهي عن منكر– كانوا كالمسامير المحماة، لا يروِّعهم قول قائل ولا اعتراض معترض، ويفعلون في الجهاد في ذلك جميع ما تصل قدرتهم وتبلغ قوتهم إليه من إنكال الأعداء وإهانتهم ومناصرة الأولياء ومعاضدتهم، وليسوا كالمنافقين يخافون لومة أوليائهم من اليهود فلا يفعلون وإن كانوا مع المؤمنين شيئاً ينكيهم." (١)

دلالة اسم الفاعل: (واسع): اسم فاعل الموصوف بالسعة من مادة (و س ع) والتي " تدل عَلَى خِلَافِ الضِّيقِ وَالْعُسْرِ. يُقَالُ وَسُعَ الشَّيْءُ وَاتَّسَعَ. وَالْوُسْعُ: الْغِنَى."(٢) وَاللَّهُ الْوَاسِعُ أَيِ الْغَنِيُّ. أي واسع علمه وقدرته ورحمته. وقد صرح بذلك ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٥٦] ﴿وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [طه: ٩٨] لأن علمًا تمييز منقول من الفاعلية؛ إذ الأصل وسع علمه كل شيءٍ. وقيل: معناه: وسع رزقه جميع خلقه. وقال ابن الأنباري: الواسع الذي يسع بما يسأل. وقيل: معناه المحيط بكل شيءٍ. وقيل: هو الجواد"(٣).

و"واسع من صفات الله وأسمائه الحسنى ومعنى هذا الاسم عدم تناهي التعلقات لصفاته ذات التعلق فهو واسع العلم، واسع الرحمة، واسع العطاء، فسعة صفاته تعالى أنها لا حد لتعلقاتها، فهو أحق الموجودات بوصف واسع، لأنه الواسع المطلق، وإسناد وصف واسع إلى اسمه تعالى إسناد مجازي أيضا لأن الواسع صفاته ولذلك يؤتى بعد هذا الوصف أو ما في معناه من فعل السعة بما يميز جهة السعة من تمييز نحو: وسع كل شيء علما، ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما.. وأحسب أن وصف الله بصفة واسع في العربية من مبتكرات

(١) نظم الدرر ١٩٢/٦.
(٢) مقاييس اللغة ١٠٩/٦ (وس ع).
(٣) عمدة الحفاظ ٣١٠/٤.

القرآن."[١] والتعبيرباسم الفاعل فيه دلالة على الثبوت والدوام لصفة السعة الموصوف بها.

دلالة صيغة المبالغة: (عليم) صيغة مبالغة من العلم، والعلم في اللغة جاء بمعنى "الْيَقِين يُقَالُ عَلِمَ يَعْلَمُ إِذَا تَيَقَّنَ وَجَاءَ بِمَعْنَى الْمَعْرِفَةِ أَيْضًا. .. وَأُطْلِقَتْ الْمَعْرِفَةُ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى لِأَنَّهَا أَحَدُ الْعِلْمَيْنِ وَالْفَرْقُ بَيْنَهُمَا اصْطِلَاحِيٌّ لِاخْتِلَافِ تَعَلُّقِهِمَا وَهُوَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مُنَزَّهٌ عَنْ سَابِقَةِ الْجَهْلِ وَعَنْ الِاكْتِسَابِ لِأَنَّهُ تَعَالَى يَعْلَمُ مَا كَانَ وَمَا يَكُونُ وَمَا لَا يَكُونُ لَوْ كَانَ كَيْفَ يَكُونُ وَعِلْمُهُ صِفَةٌ قَدِيمَةٌ بِقِدَمِهِ قَائِمَةٌ بِذَاتِهِ فَيَسْتَحِيلُ عَلَيْهِ الْجَهْلُ " [٢] وعلى ذلك فمعنى عليم المبالغة في صفة علمه سبحانه وتعالى؛ فالله سبحانه وتعالى" لكمال علمه يعلم ما بين أيدي الخلائق وما خلفهم، فلا تسقط ورقة إلا بعلمه، ولا تتحرك ذرة إلا بإذنه، يعلم دبيب الخواطر في القلوب حيث لا يطلع عليه الملَك، ويعلم ماسيكون منها حيث لا يطلع عليه القلب. "[٣].

ثالثا الوحدات النحوية (التركيبية) ودلالتها:

دلالة أسلوب النداء في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾ يُعد النداء وسيلة من وسائل الاتصال بين البشر، وهو يحقق أهدافا، كالتحذير والتنبيه والإرشاد. ..إلى غير ذلك وفيه ما يدل على اجتماعية اللغة العربية من حيث تنوع أدوات النداء بما يتوافق مع الحال، ويحقق الغاية منه، واللغة العربية هي لغة القرآن الكريم المنزل، وقد استخدم النداء في القرآن الكريم وتميز بين أساليب الخطاب الأخرى بأنه عميق التأثير،

(١) التحرير والتنوير ٢٤٨/٣.

(٢) المصباح المنير (ع ل م).

(٣) شرح ابن القيم لأسماء الله الحسنى د عمر سليمان الأشقر صـ ٧٨.

يلامس الأحاسيس الإنسانية، ويثير الأفكار العقلية، فيؤسس فيها القناعة، فهو ينبه المخاطب إلى ماينفعه، ويصلح أحواله في الدارين، ويؤنسه بالقرب من المنادى(١).

والنداء في الآية الكريمة موجه إلى المؤمنين المصدقين بالله ورسوله؛ لينتبهوا إلى أهمية الخطاب الموجه إليهم، ففيه إثارة للمشاعر الإيمانية لدى المؤمنين ليتشوقوا بذلك إلى مايلى النداء وهو في سياق الآية الكريمة التحذير من الارتداد عن الدين الإسلامي. ففي وصف المخاطبين في الآية بالإيمان تنشيط لهم، وحث على مراعاة مايعقبه من الأمر(٢) كما يلاحظ أنه سبحانه وتعالى" يناديهم بالصفة التي تميزهم، والتي تربطهم بربهم ونبيّهم، والتي تستجيش في نفوسهم الاستجابة والتلبية"(٣) وعلى ذلك فالنداء بصفة الإيمان يحث المؤمنين على الاستجابة والامتثال لأمرالله ويعين عليهما.

دلالة أسلوب الشرط: في قوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾ أفاد أسلوب الشرط ترهيب المؤمنين من الارتداد عن الدين الإسلامي حيث تضمن الوعيد لمن يرتد والوعد للمؤمنين، فالوعيد من الله" لمن سبق في علمه أنه سيرتدُّ بعد وفاةِ نبيّه محمد صلى الله عليه وسلم. وكذلك وعدُه من وعدَ من المؤمنين ما وعدَه في هذه الآية، لمن سبق له في علمه أنه لا يبدّل ولا يغير دينه، ولا يرتدّ. فلما قَبَض الله نبيَّه صلى الله عليه وسلم، ارتدّ أقوام من أهل الوبَرِ، وبعضُ أهل المَدَر، فأبدل الله المؤمنين بخيرٍ منهم كما قال تعالى ذكره، ووفى للمؤمنين بوعده، وأنفذ فيمن ارتدَّ منهم

(١) أساليب النداء في القرآن الكريم د عبد القادر محمد المعتصم دهمان ٦-٧ .

(٢) ينظر: إرشاد العقل السليم ١٧٩/١ .

(٣) في ظلال القرآن ١٠٠/١ .

وعيدَه."[١] وفي ابتداء الآية الكريمة بأسلوب الشرط ما يُنفِر أفراد المجتمع من سلوك المنافق وارتداده عن الدين الإسلامي؛ فيمتثلوا لأمر الله ويتمسكوا بدينهم الإسلامي الحنيف.

دلالة (سوف) في قوله تعالى: ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾

آثر التعبير القرآني الحرف (سوف) ولم يعبر بـ (السين) وكلاهما حرف يدل على التأخير والتنفيس وذلك لما تضمنته (سوف) من معنى الوعد والوعيد معا في هذا الموضع فسوف "حرف يدل على التأخير والتنفيس وزمانه أبعد من زمان السين لما فيها من إرادة التسويف.. وفرق ابن بابشاذ أيضا بينهما بأن سوف تستعمل كثيرا في الوعيد والتهديد وقد تستعمل في الوعد مثال الوعيد: ﴿ وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ (الفرقان ٤٢) و ﴿ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴾ (النبأ ٤) وأمثالها في الوعد: ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ﴾ (الضحى ٥) فأما قوله تعالى: ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾ لتضمنه الوعد والوعيد جميعا فالوعد لأجل المؤمنين والمحبين والوعيد لما تضمنت من جواب المرتدين بكونهم أعزة عليهم وعلى جميع الكافرين.

والأكثر في السين الوعد وتأتي للوعيد، مثال الوعد: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴾ (مريم ٩٦)، ومثال الوعيد: ﴿ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾ (الشعراء ٢٢٧)"[٢].

دلالة (على) في قوله تعالى: ﴿ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾

(١) جامع البيان للطبري ١٠/٤١٠ .

(٢) البرهان في علوم القرآن الزركشي ٤/٢٨٣ .

تأتي على في اللغة للدلالة على ثمانية معان ذكرها ابن مالك وهي: الاستعلاء، المصاحبة، المجاوزة، التعليل، الظرفية، موافقة من، موافقة الباء، زائدة للتعويض، وزاد بعضهم موافقة اللام[١] و(على) في سياق الآية الكريمة تفيد العلو والاستعلاء والمقصود منه علو قدر المؤمنين بتواضعهم ولينهم مع غيرهم من المؤمنين وعن الرازي " فيه وجهان: أحدهما: أن يضمن الذل معنى الرحمة والشفقة، كأنه قيل: راحمين عليهم مشفقين عليهم على وجه التذلل والتواضع، والثاني: أنه تعالى ذكر كلمة على حتى يدل على علو منصبهم وفضلهم وشرفهم، فيفيد أن كونهم أذلة ليس لأجل كونهم ذليلين في أنفسهم، بل ذاك التذلل إنما كان لأجل أنهم أرادوا أن يضموا إلى علو منصبهم فضيلة التواضع."[٢] وقريب منه قول البيضاوي " {أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ} عاطفين عليهم متذللين لهم، جمع ذليل لا ذلول فإن جمعه ذلل، واستعماله مع على إما لتضمنه معنى العطف والحنو أو للتنبيه على أنهم مع علو طبقتهم وفضلهم على المؤمنين خاضعون لهم أو للمقابلة. أَعِزَّةٍ عَلَى الْكافِرِينَ شداد متغلبين عليهم من عزه إذا غلبه "[٣].

ووضح ذلك الإمام الشعراري فقال " لقد جاء هذا القول على هذا الشكل لحكمة هي: أن المؤمن ما دام يحب الله ويحبه الله. وساعة يكون في ذلة لأخيه المؤمن فهذا يرفع من قدره. وهي ليست ذلة بالمعنى المتعارف عليه، ولكنه لين جانب وعطف ورحمة. إذن فقوله الحق: {أَذِلَّةٍ عَلَى المؤمنين} يعني أن المؤمنين يعطفون على غيرهم من المؤمنين حتى يبدو هذا العطف وكأنه ذلة... و"ذلة المؤمن لأخيه المؤمن ترفع منزلته. وبها يكون المؤمن أهلاً لأن ترفع منزلته؛ لأنه

(١) ينظر الصحاح ٧٧٠/٢، الجنى الداني في حروف المعاني للمرادي صـ ٤٨٠، تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد لابن مالك ١٤٦/١.

(٢) مفاتيح الغيب ٣٨١/٢.

(٣) أنوار التنزيل ١٣٢/٢.

مصطفى بأن الله يحبه وأنه يحب الله، ولا توجد رفعة أكثر من هذه رفعة. ولذلك نجد القول المأثور: (من تواضع لله رفعه)[١] أي من تواضع وفي باله الله فإن الله يرفعه"[٢].

دلالة اسم الإشارة (ذلك) في قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾

{ذلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشاءُ} أي محبتهم لله ولين جانبهم للمسلمين، وشدتهم على الكافرين، من فضل الله عليهم[٣] "فقوله ذلك إشارة إلى ما تقدم ذكره من وصف القوم بالمحبة والذلة والعزة والمجاهدة وانتفاء خوف اللومة الواحدة، فبين تعالى أن كل ذلك بفضله إحسانه، وذلك صريح في أن طاعات العباد مخلوقة لله تعالى"[٤].

وقيل فى قوله تعالى: «ذلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشاءُ وَاللَّهُ واسِعٌ عَلِيمٌ» إشارة إلى أن هذا الذي يجرى فى حياة الناس، من تحول وتبدل، فيتحول أهل الكفر والضلال إلى الهدى والإيمان، هو من فضل الله، الذي استنقذ به أولئك الضالين

(١) شعب الإيمان، فضل التواضع وترك الزهو ٤٥٥/١٠(ح ٧٧٩٠) وفيه " قَالَ عُمَرُ وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ: أَيُّهَا النَّاسُ، تَوَاضَعُوا فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: " مَنْ تَوَاضَعَ لِلَّهِ رَفَعَهُ اللهُ، فَهُوَ فِي نَفْسِهِ صَغِيرٌ، وَفِي أَعْيُنِ النَّاسِ عَظِيمٌ، وَمَنْ تَكَبَّرَ وَضَعَهُ اللهُ، فَهُوَ فِي أَعْيُنِ النَّاسِ صَغِيرٌ، وَفِي نَفْسِهِ كَبِيرٌ، حَتَّى لَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِمْ مِنْ كَلْبٍ أَوْ خِنْزِيرٍ".

(٢) تفسير الشعراوي ٢٣١٤/٣.

(٣) معالم التنزيل ٧٢/٣.

(٤) مفاتيح الغيب ٣٨١/١٢.

الذين كانوا على شفا حفرة من النار.. وهذا الفضل هو بيد الله، لا يملك أحد منه شيئا «يُؤْتِيهِ مَنْ يَشاءُ» ويصرفه عمن يشاء(١).

دلالة الواو في قوله تعالى: ﴿ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ﴾ تأتي الواو في اللغة للعديد من المعاني منها العطف (مطلق الجمع)، والاستئناف، والحال، وبمعنى أو(٢).

وذكر بعض العلماء لها في الآية وجهين: الأول: أن تكون هذه الواو للحال، فإن المنافقين كانوا يراقبون الكفار ويخافون لومهم، فبين الله تعالى في هذه الآية أن من كان قويا في الدين فإنه لا يخاف في نصرة دين الله بيده ولسانه لومة لائم. الثاني: أن تكون هذه الواو للعطف، والمعنى أن من شأنهم أن يجاهدوا في سبيل الله لا لغرض آخر، ومن شأنهم أنهم صلاب في نصرة الدين لا يبالون بلومة اللائمين " (٣).

دلالة التعبير بالجملة الإسمية في قوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ﴾: هي جملة إسمية عطفت على قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ ﴾ ، وأفادت الثبوت والدوام والتأكيد لكمال قدرته تعالى وعلمه " فالواسع إشارة إلى كمال القدرة، والعليم إشارة إلى كمال العلم، ولما أخبر الله تعالى أنه سيجيء بأقوام هذا شأنهم وصفتهم أكد ذلك بأنه كامل القدرة فلا يعجز عن هذا الموعود، كامل العلم فيمتنع دخول

(١) التفسير القرآني ٣/١١٢٣.

(٢) ينظر في هذه المعاني: الجنى الداني في حروف المعاني صـ ١٦٢ وما بعدها.

(٣) مفاتيح الغيب ١٢/٣٨١ واو الحال: وقدرها النحويون ب إذ، من جهة أن الحال، في المعنى، ظرف للعامل فيها. وتدخل على الجملة الاسمية، نحو: جاء زيد ويده على رأسه، وعلى الفعلية، إذا تصدرت بماض. الأكثر اقترانه ب قد، نحو: جاء زيد وقد طلعت الشمس. وتدخل على المضارع المنفي، ولا تدخل على المثبت الجنى الداني صـ١٦٤.

الخلف في أخباره ومواعيده".[١] وعلى ذلك ففي التعبيربالجملةالإسمية هنا أثرعظيم على النفس البشرية فتسرع للاستجابة لما أمرها الله به.

تعقيب:

تعاضدت الوحدات الصوتية والصرفية والتركيبية في الآية الكريمة مبينة الدلالة الاجتماعية وهي التوجيه الرباني والتربية الإيمانية للمؤمنين في المجتمع الذي يعيشون فيه والذي قد شاع فيه النفاق وارتد البعض منهم عن دينه؛ فحثهم الله سبحانه وتعالى على التمسك بدينهم، والإمتثال لأمره تعالى، ورهبهم من الارتداد عن الدين الحنيف من خلال وعد منه سبحانه وتعالى بأن يأتى بقوم غيرهم يحبهم الله فيشرح صدورهم ويثبت أقدامهم، ويحبونه فيسرعون بالاستجابة لأوامره تعالى، وهم قوم متواضعون للمؤمنين وأشداء على الكفار، يبذلون كل مايملكونه في سبيل الدعوة إلى الدين الحق، ويتصفون كذلك بالشجاعة والبسالة لايخافون من لوم اللائمين في أمر الدين، ولاشك أن في جميع ماسبق دعوة للمؤمنين للتحلى بمعالى الأخلاق ومنها الشجاعة، وقوة الهمة والعزيمة، والتواضع للمؤمنين ولين الجانب لهم.

الموضع الثاني: قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّكَ لَن تَخۡرِقَ ٱلۡأَرۡضَ وَلَن تَبۡلُغَ ٱلۡجِبَالَ طُولٗا ﴿٣٧﴾ ﴾ (الإسراء: ٣٧).

في الآية الكريمة " دعوة إلى الإنسان فى ذات نفسه إلى أن يعرف قدره، ولا يجاوز حدوده.. فإنه مهما بلغ من قوة وعلم، فإنه إنسان، وفى حدود البشرية ينبغى أن يعيش.. وإنه مهما بلغ من قوة، فلن يخرق الأرض بقدميه الواهيتين، إذ يضرب بهما وهو يسير فى الأرض مرحا.. وإنه مهما شمخ بأنفه، ونفخ فى أوداجه فلن

(١) مفاتيح الغيب ٣٨٢/١٢

يطاول الجبال.. فلم إذن هذا الضّرب على الأرض بالقدمين؟ ولم هذا التشامخ بالأنف والتطاول بالعنق؟ إن ذلك عناء لا جدوى منه، ولا طائل تحته! "[1] ففي الآية الكريمة نهي عن خصلة من خصال الجاهلية، وهي خصلة الكبرياء، وكان أهل الجاهلية يتعمدونها. والخطاب فيها لغير معين ليعم كل مخاطب، وليس خطابا للنبي– صلى الله عليه وسلم– إذ لا يناسب ما بعده.[2]

التحليل اللغوي للآية الكريمة:

أولا الوحدات الصوتية وإيحاءتها:

بتأمل أصوات الآية الكريمة يتبين غلبة وشيوع الأصوات المجهورة، والصوت المجهور سمته الإعلان والبيان؛ فهذه الأصوات المجهورة تتناسب مع الهدف الاجتماعي من الآية وهو النهي عن خصلة كانت سائدة في مجتمع الجاهلية وهي الخيلاء والتبختر، كما عبرت تلك الأصوات تمام التعبير عن التهكم والتقريع بصاحب هذه الخصلة وهو ما له عظيم الأثر في الردع والزجر عن ذلك الأمر.

وكذلك يلاحظ شيوع الأصوات الصائتة القصيرة – صائت الفتحة وصائت الكسرة – وهو مايتناسب مع هدف الآية أيضا وهو النهي عن التكبر في الأرض. كما يلاحظ أن المقاطع المغلقة في قوله: { إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولا} تنبثق منها دلالات الحبس والمنع في تجسيد حال الشخص المختال الفخور؛ إذ بينت عجزه وضعفه في خرق الأرض أو وصوله للجبال طولا.

الفاصلة: اختتمت الآية بالفاصلة (طولا) وانتهت بالمقطع المفتوح (ص ح ح) وفيها تنبيه وإيقاظ للمتلقي بما نهاه عنه وهو الكبر وحثه على التواضع، كما

(١) التفسير القرآني ٤٨٩/٨ .

(٢) ينظر التحرير والتنوير ١٠٣/١٥ .

دلت أيضا على عجز الإنسان وضعفه المطلق؛ ولذا فعليه ألا يتكبر على الخلق، فقيل له " تحتك الأرض التي لا تقدر على خرقها وفوقك الجبال التي لا تقدر على الوصول إليها فأنت محاط بك من فوقك وتحتك بنوعين من الجماد، وأنت أضعف منهما بكثير، والضعيف المحصور لا يليق به التكبر فكأنه قيل له: تواضع ولا تتكبر فإنك خلق ضعيف من خلق الله المحصور بين حجارة وتراب فلا تفعل فعل المقتدر القوي." (١)

ثانيا الوحدات الصرفية ودلالتها:

– التعبير بالوحدة الصرفية (المصدر) للدلالة على تأكيد المعنى المراد وتقويته وذلك لتجرده من فصيلة الجنس والعدد يقول ابن جني: وإنما كان التذكير والإفراد أقوى من قبل أنك لما وصفت بالمصدر أردت المبالغة بذلك, فكان من تمام المعنى وكماله أن تؤكد ذلك بترك التأنيث والجمع, كما يجب للمصدر في أول أحواله, ألا ترى أنك إذا أنثت وجمعت سلكت به مذهب الصفة الحقيقة التي لا معنى للمبالغة فيها، نحو: قائمة ومنطلقة وضاربات ومكرمات"(٢).

وعن ابن يعيش: "فهذه المصادرُ كلُّها ممّا وُصف بها للمبالغة، كأنّهم جعلوا الموصوف ذلك المعنى لكثرةِ حُصوله منه. وقالوا: "رجلٌ عَدْلٌ، ورِضى، وفَضْلٌ"، كأنّه لكثرةِ عَدْله، والرضى عنه، وفَضْلِه، جعلوه نفسَ العدل، والرضى، والفضلِ"(٣).

دلالة التعبير بالمصدر (مَرَحا)، (طولا) في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾ ﴾ (الإسراء: ٣٧).

(١) مفاتيح الغيب ٣٤٢/٢٠ .
(٢) الخصائص ٢٠٩/٢ .
(٣) شرح المفصل للزمخشري ٢٣٧/٢ .

التعبير بالمصدر في الآية الكريمة فيه دلالة على تقوية المعنى وتأكيده في نفوس أفراد المجتمع المتلقين للخطاب القرآني. قوله "(مرحا)، مصدر سماعيّ لفعل مرح، وزنه فعل بفتحتين[١]. والمَرَحُ هو "شدَّة الفَرَحِ وَالنَّشَاطِ حَتَّى يجاوزَ قَدْرَه... وَقِيلَ: المَرَحُ التَّبَخْتُرُ والاختيالُ... وَقِيلَ: المَرَحُ الأَشَرُ والبَطَرُ؛ وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ ﴿٧٥﴾﴾ (غافر ٧٥)[٢] والتعبير بالمصدر (مَرَحا) في الآية الكريمة فيه دلالة على توكيد الفعل يقول الطبري " وقرأ الضحاك، وابن يعمر: «مَرِحاً» بكسر الراء، قال الأخفش: والكسر أجود، لأن «مَرِحاً» اسم الفاعل قال الزّجّاج: كلاهما في الجودة سواء، غير أن المصدر أوكد في الاستعمال، تقول: جاء زيد رَكْضاً، وجاء زيد راكِضاً، ف «ركضاً» أوكد في الاستعمال، لأنه يدل على توكيد الفعل، وتأويل الآية: لا تمش في الأرض مختالاً فخوراً، والمرح: الأشر والبطر. وقال ابن فارس: المرح: شدة الفرح[٣]. وقيل: لا تمش مرَحا، ولم يقل مرِحا، لأنه لم يرد بالكلام: لا تكن مرِحا، فيجعله من نعت الماشي، وإنما أريد لا تمرح في الأرض مرَحا، ففسر المعنى المراد من قوله: ولا تمش[٤].

وقوله (طولا)، مصدر سماعيّ لفعل طال يطول، وزنه فعل بضمّ فسكون[٥] وهومصدر من مادة (ط ول) والتي تدل على" فَضْلٍ وَامْتِدَادٍ فِي الشَّيْءِ. مِنْ ذَلِكَ:

(١) الجدول في الإعراب١٥/٤٧.
(٢) لسان العرب ٢/٥٩١ (م ر ح).
(٣) مجمل اللغة ١/٨٢٩ (م رح).
(٤) جامع البيان ١٧/٤٥٠، وينظر الكشاف ٢/٦٦٧، أنوار التنزيل ٣/٢٥٥، زاد المسير ٣/٢٥.
(٥) الجدول في الإعراب ١٥/٤٧.

طَالَ الشَّيْءُ يَطُولُ طُولا."[١] و"الطُّولُ: نَقِيضُ القِصَر فِي النَّاسِ وغيرِهِم مِنَ الْحَيَوَانِ والمَوات. وَيُقَالُ لِلشَّيْءِ الطَّوِيلِ: طالَ يَطُولُ طُولا، فَهُوَ طَوِيلٌ وطُوالٌ"[٢].

- دلالة التعبير بالفعل المضارع النفي بلن (لن تخرق – لن تبلغ): (لن) من أدوات النفي التي "تدخل على الفعل المضارع فتنفيه نفيا مؤكدا وتخلصه للاستقبال، تقول: (لن أكلمه بعد اليوم)، وهي نفي لـ (سوف يفعل) أو سيفعل"[٣] وعلى ذلك فالتعبير بالفعل المضارع المنفي بـ (لن) للدلالة على تأكيد نفي الحدث في المستقبل فهذا المختال الفخور عاجز عجزا مؤكدا عن خرق الأرض والبلوغ إلى الجبال طولا فأنى له أن يتكبر بعد ذلك العجز التام. والخرق في اللغة معناه " مَزْقُ الشَّيْءِ وَجَوْبُهُ... فَيُقَالُ: خَرَقْتُ الأَرْضَ، أَيْ جُبْتُهَا. وَاخْتَرَقَتِ الرِّيحُ الْأَرْضَ، إِذَا جَابَتْهَا"[٤] وعن الراغب: الخَرْقُ: قطع الشيء على سبيل الفساد من غير تدبّر ولا تفكّر"[٥] و"البُلُوغ والبَلاغ: الانتهاء إلى أقصى المقصد والمنتهى، مكانا كان أو زمانا، أو أمرا من الأمور المقدّرة، وربما يعبّر به عن المشارفة عليه وإن لم ينته إليه"[٦].

ثالثا الوحدات النحوية (التركيبية) ودلالتها:

دلالة أسلوب النهي في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ﴾:

في الآية الآية الكريمة نهي للإنسان عن أن يمشي مشيا يدل على الكبرياء والعظمة، والمعنى: لا تمش في الأرض مختالا فخورا[٧]، ويدل على

(١) مقاييس اللغة ٤٣٤/٣ (ط ول).
(٢) لسان العرب ٤١٠/١١ (ط ول).
(٣) معاني النحو ٣٦٣/١، وينظر الكتاب ٤٦٠/١.
(٤) مقاييس اللغة ١٧٢/٢.
(٥) المفردات صـ ٢١٨.
(٦) المفردات صـ ١٤٠.
(٧) معاني القرآن للزجاج ٢٤٠/٣، وينظرمفاتيح الغيب ٣٤٢/٢٠.

ذك ماورد في السياق القرآني: ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا ﴾ [الفرقان: ٦٣] وقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٖ ١٨ وَٱقۡصِدۡ فِي مَشۡيِكَ وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ ﴾ [لقمان: ١٨ –١٩] وفي تصدر الآية بأسلوب النهي تشويق لمعرفة المنهي عنه وعلة هذا النهي، كما أن في أسلوب النهي تنفيرا من المنهي عنه وهو مشية الإنسان مشية الكبر والفخر والعجب بالنفس والخيلاء، وهو مخلوق ضعيف لايستطيع أن يخرق الأرض بكبره ومشيه عليها، ولا أن يطاول الجبال بعظمته ؛فكيف له أن يتكبر في الأرض التي خلق منها وإليها مرده.

– ويلاحظ أن التعبير القرآني استعمل في هذه الآية وفي آية سورة لقمان حرف الجر (في) في قوله تعالى: { وَلا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحاً }، واستعمل حرف الجر (على)عند الحديث عن تواضع عباد الرحمن في قوله تعالى: {وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا}.

ويمكن القول بأنه: في التعبير بـ(في) في سياق النهي عن التكبر والعجب دلالة توحي بشدة المبالغة في مشي ذلك المختال الفخور على الأرض وفي اعتقاده الواهي أنه قادر على خرق الأرض وأنه مالك لها وهو شعور كاذب لا محالة، أما في آية عباد الرحمن فالسياق سياق مدح لهم حيث جاء الحديث عن تواضعهم فناسبه حرف الجر (على) الذي يدل على الاستعلاء؛ فهم قد استعلوا عن الدنيا بما فيها وتواضعوا لمن فيها، ولوعبر القرآن بـ (في) في هذا الموضع لدل ذلك عل الذم وهو غير مراد.

دلالة الجمل الخبرية المؤكدة في قوله تعالى: ﴿ إِنَّكَ لَن تَخۡرِقَ ٱلۡأَرۡضَ وَلَن تَبۡلُغَ ٱلۡجِبَالَ طُولٗا ﴾

قوله تعالى: {إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولا} تعليل للنهي الوارد في قوله تعالى: { وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحاً }وفيه تهكم بالمختال وأفادت الجمل الخبرية التأكيد على " النهي عن الخيلاء والتكبر فقال: إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا والمراد من الخرق هاهنا نقب الأرض، ثم ذكروا فيه وجوها: اول: أن المشي إنما يتم بالارتفاع والانخفاض فكأنه قيل: إنك حال الانخفاض لا تقدر على خرق الأرض ونقبها، وحال الارتفاع لا تقدر على أن تصل إلى رؤوس الجبال، والمراد التنبيه على كونه ضعيفا عاجزا فلا يليق به التكبر. الثاني: المراد منه أن تحتك الأرض التي لا تقدر على خرقها وفوقك الجبال التي لا تقدر على الوصول إليها فأنت محاط بك من فوقك وتحتك بنوعين من الجماد، وأنت أضعف منهما بكثير، والضعيف المحصور لا يليق به التكبر فكأنه قيل له: تواضع ولا تتكبر فإنك خلق ضعيف من خلق الله المحصور بين حجارة وتراب فلا تفعل فعل المقتدر القوي " [1] والتقييد بالأرض " للتذكير بالمبدأ والمعاد وهو أردع عن المشي مشية الفاخر المتكبر وادعى لقبول الموعظة كأنه قيل: لا تمش فيما هو عنصرك الغالب عليك الذي خلقت منه وإليه تعود والذي قد ضم من أمثالك كثيرا مشية الفاخر المتكبر، وقيل للتنصيص على أن النهي عن المشي مرحا في سائر البقع والأماكن لا يختص به أرض دون أرض، والأول ألطف"[2].

و"معنى هذا أن مشي المرح يكون على ضربين: مَشيٌ باختيال على الأرض وتؤدة؛ بجر قدمه على الأرض كأنه يريد أن يخرقها، ومَشيٌ يتطاول في السماء بذخًا، فنهى الله تعالى في هذه الآية عنهما، وأخبر أنه لا يبلغ مما يريد

(١) مفاتيح الغيب ٣٤٢/٢٠، وينظر: زاد المسير ٢٥/٣، وفتح القدير ٢٧١/٣ .
(٢) روح المعاني ٧٣/٨ .

كبير مبلغ، وإلى هذا أشار مجاهد؛ فقال في قوله: {إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الأَرْضَ} قال: الذي يمشي على عقبه، {وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولا} قال: الذي يمشي على صدور قدميه"(١).

وفي هذا التهكم والتقريع لمن يمشي مشية المختال زاجر ورادع لغيره من أفراد المجتمع ممن يمشي تلك المشية التى لا فائدة من ورائها سوى الحماقة وارتكاب كبيرة كما دل على ذلك الحديث النبوي؛ فقد روي عن النبي – صلى الله عليه وسلم: " «لاَ يَنْظُرُ اللَّهُ يَوْمَ القِيَامَةِ إِلَى مَنْ جَرَّ إِزَارَهُ بَطَرًا». (٢)وفي الحديث «بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي قَدْ أَعْجَبَتْهُ جُمَّتُهُ وَبُرْدَاهُ، إِذْ خُسِفَ بِهِ الْأَرْضُ، فَهُوَ يَتَجَلْجَلُ فِي الْأَرْضِ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ». (٣) وما حل بقارون وقومه خير شاهد على ذلك.

تعقيب: تكاتفت الوحدات الصوتية والصرفية والتركيبية في الآية الكريمة في بث دلالة اجتماعية وهي التنفير من الكبر والخيلاء والحث على التواضع، حيث جاء النهي عن مشية الجاهلية وهي مشية التبختر والخيلاء والعظمة، كما ذكَّرت الآية الكريمة أفراد المجتمع بالأرض التي خلقوا منها وإليها مردهم؛ ولذا عليهم ألا يتكبروا فيها بتلك المشية التي نهي عنه الله تعالى ورسوله – صلى الله عليه وسلم، وفي ذلك تنبيه على عجز الإنسان ذلك المخلوق الضعيف الذي خلقه الله تعالى لعبادته، وأمره بالتواضع والخشوع لله تعالى، والتواضع مع غيره من أفراد المجتمع الذي يعيش فيه.

---

(١) تفسير البسيط ٣٣٦/١٣، وينظر: الكشاف ٦٦٧/٢، أنوار التنزيل ٢٥٥/٣، بحر العلوم ٢٤٢/٣ .

(٢) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه في باب من جر ثوبه من الخيلاء ١٤١/٧ (ح ٥٧٨٨).

(٣) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه في باب من جر ثوبه من الخيلاء ١٤١/٧ (ح ٥٧٨٩)، وسلم في صحيحه في كتاب اللباس والزينة ١٦٥٣/٣ (ح ٢٠٨٨).

الموضع الثالث في قوله تعالى: ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا ﴾ (الفرقان ٦٣).

مناسبة الآية لما قبلها: أنه سبحانه لما وصف الكفار في هذه السورة بما وصفهم به من الفظاظة والغلظة على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وعداوتهم له، ومظاهرتهم على خالقهم، ونحو ذلك من جلافتهم، وختم بالتذكر والشكر، وكان التقدير: فعباد الشيطان لا يتذكرون ولا يشكرون، لما لهم من القسوة، عطف على هذا المقدر أضدادهم، واصفاً لهم بأضداد أوصافهم، مبشراً لهم بضد جزائهم"[١] وجمعت الآية الكريمة صفتين لعباد الرحمن " الصفة الأولى: قوله: الذين يمشون على الأرض هونا وهذا وصف سيرتهم بالنهار... الصفة الثانية: قوله تعالى: وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما"[٢].

التحليل اللغوي للآيات الكريمة:

أولا: الوحدات الصوتية وإيحاءتها:

يلاحظ في الآية الكريمة شيوع الأصوات المستقلة – (و ع ب د ر ح م ن ش أ هـ ج ل س) –" وهي أصوات حال النطق بها لا يستعلى اللسان والصوت إلى الحنك، كما يستعلى مع الأصوات المستعلية. ..بل يستفل اللسان بها إلى قاع الفم عند النطق بها على هيئة مخارجها. "[٣] وهذه الأصوات تنبثق منها دلالات الانقياد والخضوع والتواضع، وهذا ما يتناسب مع حال عباد الرحمن وانقيادهم لله وتواضعهم معه سبحانه وتعالى، كما تحاكي تواضعهم مع الخلق وهيئة مشيهم وتغاضيهم عن أذي الجهلاء. فهم يتسمون باللين والرفق والسكينة والوقار والإخبات

(١) نظم الدرر ٤٢٠/١٣ وينظر: الجامع لأحكام القرآن ٦٧/١٣ .

(٢) مفاتيح الغيب ٤٨١/٢٤.

(٣) الرعاية صـ ٤٠ .

والتواضع، " لا يؤذون أحداً ولا يفخرون، رحمة لأنفسهم وغيرهم، غير متابعين ما هم فيه من الحرارة الشيطانية، فبرؤوا من حظوظ الشيطان، لأن من كان من الأرض وإليها يعود لا يليق به إلا ذلك"(١).

كما يلاحظ شيوع الأصوات المنفتحة –(و ع ب د ر ح م ن ش أ هـ ج ل س ق خ)– وهي أصوات لا ينطبق "اللسان مع الريح إلى الحنك عند النطق بها، ولا تنحصر الريح بين اللسان والحنك بل ينفتح مابين اللسان والحنك وتخرج الريح عند النطق بها"(٢) وهو مايصاقب حال عباد الرحمن وديمومتهم واستمراريتهم على فعل الطاعات، والتحلي بمعالى الأخلاق، والبعد عن الشرور والآثام وسيء الأخلاق.

دلالة المقاطع المفتوحة: المقاطع المفتوحة بنوعيها طويلة (ص ح ح) وقصيرة (ص ح)، بما تملكه من سمة الانفتاح، وتدفق الهواء بكثرة والتخلص منه: تُحاكي بيان ووضوح المنهج الرباني الذي رسمه الله الرحمن لعباده في وصف حالهم وماينبغي أن يكون عليه معاشهم من التحلى بمعالى الأخلاق من التؤدة والرفق واللين والتواضع لله وللخلق، وفي وصف معاملتهم مع الجهلاء الذين يؤذونهم.

دلالة الفاصلة: انتهت الآية القرآنية بالمقطع المفتوح (ص ح ح) (سلاما) والذي يصاقب ويحاكي استمرارية عباد الرحمن في التواضع لله وللخلق واستمراريتهم في الإعراض عن الجاهلين فهذا الخلق –وهو التواضع– مستمر معهم طيلة حياتهم.

---

(١) نظم الدرر ٤٢١/١٣ .

(٢) الرعاية صـ ٤٠ .

كما اشتملت الآية الكريمة على لفظين لأصواتهما دلالة إيحائية مؤثرة على المتلقي وهما:

هونا: الهون مصدر الهَيِّن يدل في أصله على السكينة أوالذل يقول ابن فارس: " الهاء والواو والنون أصيل يدل على سكون أو سكينة أو ذل. من ذلك الْهَوْنِ: السَّكِينَةُ وَالْوَقَارُ.(١) و"الهَوْنُ الرِّفق.. وَفِي صِفَتِهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَمْشي هَوْناً؛ الهَوْن: الرِّفْق واللِّين وَالتَّثَبُّتُ"(٢) والهون أو الهوان: تذلّل الإنسان في نفسه لما لا يلحق به غضاضة، فيمدح به نحو قوله: ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا ﴾ [الفرقان/ ٦٣] ونحو ما روي عن النبيّ صلّى الله عليه وسلم:«المؤمن هَيِّنٌ ليّن»(٣) " (٤) وبتأمل الأصوات التي تشكلت منها كلمة (هونا) يتضح مدي تصاقبها ومضارعتها لهيئة مشي عباد الرحمن؛ فالهاء من حروف أقصى الحلق (٥) وهي صوت مهموس رخو مستفل منفتح و" هي حرف خفي لخفة احتكاكها بجدران الحلق فلا تكاد تسمع إلا بواسطة اختلافها عما سبقها وتلاها من أصوات"(٦) والواو فقد جاءت في الكلمة واوا صامتة (حرف لين) وهي صوت مجهور رخو مستفل منفتح، والنون حرف مجهور متوسط بين الشدة والرخاوة مستفل منفتح ذلقي، وفي الأصوات الثلاثة السابقة مايصور هيئة مشي عباد الرحمن من حيث السكينة واللين والرفق والتواضع واعتدالهم وتثبتهم وهو ما ينبثق

(١) مقاييس اللغة ٢١/٦ (هـ ون).

(٢) لسان العرب ٤٠٠/١٣ .

(٣) الحديث أخرجه البيهقي في شعب الإيمان، فصل في لين الجانب وسلامة الصدر ٤٤٦/١٠ (ح ٧٧٧٥) .

(٤) المفردات صـ٩٤٨ .

(٥) الكتاب ٤٣٣/٤ .

(٦) أصوات اللغة العربية د/محمد حسن جبل صـ ١٤٠ .

من الدلالة الإيحائية للأصوات الثلاثة، وأما ختام الكلمة بالألف وهو من الحروف الهوائية ما يوحي بدوام واستمرارية هذا الوصف لعباد الرحمن، كما أن فيه إيقاظا للمتلقي " فالصائت الطويل الألف "في لفظ كتاب الله يساعد على التأثير في المتلقي، لكون الصائت أوضح في السمع وأكثر أثرا في النفس من الأصوات الساكنة "[١].

– سلاما: السلام من مادة (س ل م): و" السِّينُ وَاللَّامُ وَالْمِيمُ مُعْظَمُ بَابِهِ مِنَ الصِّحَّةِ وَالْعَافِيَةِ. .. فَالسَّلَامَةُ: أَنْ يَسْلَمَ الْإِنْسَانُ مِنَ الْعَاهَةِ وَالْأَذَى. قَالَ أَهْلُ الْعِلْمِ: اللَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ هُوَ السَّلَامُ ; لِسَلَامَتِهِ مِمَّا يَلْحَقُ الْمَخْلُوقِينَ مِنَ الْعَيْبِ وَالنَّقْصِ وَالْفَنَاءِ. قَالَ اللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿ وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ ﴾ [يونس: ٢٥]، فَالسَّلَامُ اللَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ، وَدَارُهُ الْجَنَّةُ"[٢]. ومعناه في سياق الأية " أي: نطلب منكم السّلامة، فيكون قوله (سلاما) نصبا بإضمار فعل، وقيل: معناه: قالوا سَلاماً، أي: سدادا من القول، فعلى هذا يكون صفة لمصدر محذوف. "[٣].

وبالنظرفي الأصوات التي تشكلت منها لفظ (سلاما) يتضح علة إيثار التعبير القرآني لهذه اللفظة؛ فالسين: صوت صفيري مهموس رخو مستفل منفتح، وتعبر عن امتداد دقيق (حاد أو قوي) نافذ في جرم أومنه. .. وهذا المعنى يلتقي مع الشعور بخروج السين خيط هواء دقيقا قويا ينفذ – ممتدا – من المضيق الذي بين طرف اللسان المستند إلى اللثة السفلى وبين صفحة الثنايا العليا، ثم من

(١) التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة د. محمود عكاشة صـ ٤٢.

(٢) مقاييس اللغة ٩٠/٣ (س ل م)، وينظر: لسان العرب ٢٩٦/١٢ (س ل م)، وبصائر ذوي التمييز ٢٥٢/٣ .

(٣) المفردات ٤٢٢/١ .

المضيق بين أطراف الثنايا العليا والسفلى التي تتقارب حتى تكاد تلتقي[١]، واللام مجهور رخوة مستفلة منفتحة ذلقية، وتخرج بامتداد طرف اللسان حتى يلتقي بأعلى لثة الثنايا العليا عند حافة الغارويخرج صوتها زامر من جانبي اللسان[٢].

والميم مجهورة متوسطة بين الشدة والرخاوة منفتحة مستفلة مذلقة. والألف الصائت الطويل وهي من الحروف الهوائية ؛إذ "هي صوت يخرج من هواء الحلق متصلا بهواء الفم لا يعتمد على مخرج معين وهي أخفى الحروف، لذلك سميت بالحرف الهاوي، لأنه يهوى في الفم حتى يتصل بالحلق "[٣] فجميع الأصوات السابقة والتى تشكلت منها كلمت (سلاما) تحاكي وتعلن سمت عباد الرحمن وتواضعهم وحلمهم حالة تعرضهم لجهالات الجهلاء فلاغلظة ولا عبوسة ولاتجهم ولاحدة من القول في الرد عليهم، كما يضفي تكرار حرف المد في الكلمة مرتين دلالته من حيث استمرارية ودوام عباد الرحمن في الإغضاء عن جهالات السفاء على مدار الأزمنة، فهذا السمت ثابت لهم في كل زمان ومكان حتى في تعرضهم لأحلك المواقف وأعصبها، كما أن في حرف المد إيقاظ للمتلقي فينتبه إلى مايلقي إليه.

ثانيا الوحدات الصرفية ودلالاتها:

دلالة الجمع (عباد) وبيان الفرق بين العباد والعبيد:

عباد الرحمن والفرق بينها وبين (عبيد): هناك فرق دلالي بين عبيد، وعباد؛ فالعبيد جمع للعبد المملوك، أما عباد فهى جمع عبد وهو المقر بالعبودية لله وحده يقول ابن فارس" "العين والباء والدال أصلان صحيحان، كَأَنَّهُمَا مُتَضَادَّانِ، وَالأَوَّلُ

(١) المعجم الاشتقاقي المؤصل ٣٠/١ .

(٢) أصوات اللغة العربية صـ ٢٠٧ .

(٣) الرعاية صـ ٢٤ .

مِنْ ذَيْنِكَ الْأَصْلَيْنِ يَدُلُّ عَلَى لِينٍ وَذُلٍّ، وَالآخَرُ عَلَى شِدَّةٍ وَغِلَظٍ. فَالْأَوَّلُ الْعَبْدُ، وَهُوَ الْمَمْلُوكُ، وَالْجَمَاعَةُ الْعَبِيدُ، وَثَلَاثَةُ أَعْبُدٍ وَهُمُ الْعِبَادُ. قَالَ الْخَلِيلُ: إِلا أَنَّ الْعَامَّةَ اجْتَمَعُوا عَلَى تَفْرِقَةِ مَا بَيْنَ عِبَادِ اللَّهِ وَالْعَبِيدِ الْمَمْلُوكِينَ. يُقَالُ هَذَا عَبْدٌ بَيِّنُ الْعُبُودَةِ. وَلَمْ نَسْمَعْهُمْ يَشْتَقُّونَ مِنْهُ فِعْلا، وَلَوِ اشْتُقَّ لَقِيلَ عَبُدَ، أَيْ صَارَ عَبْدًا وَأَقَرَّ بِالْعُبُودَةِ، وَلَكِنَّهُ أُمِيتُ الْفِعْلُ فَلَمْ يُسْتَعْمَلْ. قَالَ: وَأَمَّا عَبَدَ يَعْبُدُ عِبَادَةً فَلَا يُقَالُ إِلَّا لِمَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ – تَعَالَى. يُقَالُ مِنْهُ عَبَدَ يَعْبُدُ عِبَادَةً... وَاسْتَعْبَدْتُ فُلَانًا: اتَّخَذْتُهُ عَبْدًا. وَأَمَّا عَبْدٌ فِي مَعْنَى خَدَمَ مَوْلَاهُ فَلَا يُقَالُ عَبَدَهُ، وَلَا يُقَالُ يَعْبُدُ مَوْلَاهُ... وَيُقَالُ لِلْمُشْرِكِينَ: عَبْدَةُ الطَّاغُوتِ وَالْأَوْثَانِ، وَلِلْمُسْلِمِينَ: عُبَّادٌ يَعْبُدُونَ اللَّهَ – تَعَالَى –. وَذَكَرَ بَعْضُهُمْ: عَابِدٌ وَعَبَدَ، كَخَادِمٍ وَخَدَمَ. "[1] وعلى ذلك فالمقصود من عباد الرحمن في الآية المؤمنون المقرون لله بالعبودية، وقيل الصحابة رضوان الله عليه، وفي إضافة عباد إلى الرحمن تشريفا لهم وتبشيرا لهم.

فصيلة الزمن الصرفي:

التعبيربالفعل المضارع (يمشون) فيه دلالة على استمرارية تواضع عباد الرحمن لله وللخلق فقوله " يمشون" عبارة عن عيشهم ومدة حياتهم وتصرفاتهم، فذكر من ذلك العظم، لا سيما وفي ذلك الانتقال في الأرض، وهو معاشرة الناس وخلطتهم.. .يمشون على الأرض حلماء متواضعين يمشون في اقتصاد. والقصد والتؤدة وحسن السمت من أخلاق النبوة وقال صلى الله عليه وسلم: أيها الناس عليكم بالسكينة فإن البر ليس في الإيضاع " [2] وقال: {على الأرض} تذكيراً بما هم منه وما يصيرون إليه، وحثاً على السعي في معالي الأخلاق للترقي عنه"[3].

(١) مقاييس اللغة ٢٠٦/٤ (ع ب د) .
(٢) الجامع لأحكام القرآن ٦٩/١٣ .
(٣) نظم الدرر ٤٢١/١٣

دلالة التعبير بالمصدر: (هونا – سلاما):

ورد التعبير بالمصدر في الآية الكريمة في (هونا – سلاما) فجاء التعبير القرآني بالمصدر (هونا) للمبالغة في وصف عباد الرحمن باللين والرفق والتواضع فهونا " حال أو صفة للمشي بمعنى هينين أو بمعنى مشيا هينا، إلا أن في وضع المصدر موضع الصفة مبالغة، والهون الرفق واللين ومنه الحديث «أحبب حبيبك هونا ما» وقوله: «المؤمنون هينون لينون» والمعنى أن مشيهم يكون في لين وسكينة ووقار وتواضع، ولا يضربون بأقدامهم ولا يخفقون بنعالهم أشرا وبطرا، ولا يتبخترون لأجل الخيلاء كما قال: ﴿ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ ﴾ [الإسراء: ٣٧]"(١) فالمشي الهون:" هو الذي ليس فيه ضرب بالأقدام وخفق النعال فهو مخالف لمشي المتجبرين المعجبين بنفوسهم وقوتهم. وهذا الهون ناشيء عن التواضع لله تعالى والتخلق بآداب النفس العالية وزوال بطر أهل الجاهلية فكانت هذه المشية من خلال الذين آمنوا على الضد من مشي أهل الجاهلية. وعن عمر بن الخطاب أنه رأى غلاما يتبختر في مشيته فقال له «إن البخترة مشية تكره إلا في سبيل الله ». وقد مدح الله تعالى أقواما بقوله سبحانه ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا ﴾ فاقصد في مشيتك، وحكى الله تعالى عن لقمان قوله لابنه ﴿ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ ﴾ [الإسراء: ٣٧]"(٢).

سلاما: مصدر وفي التعبير به في سياق الآية القرآنية دلالة على تقوية المعنى وتأكيده في نفس المتلقي ومدح لعباد الرحمن بالحلم الكثيرعمن أساء إليهم فمعنى: {قَالُوا سَلامًا} أي: خاطبوهم خطابا يسلمون فيه من الإثم ويسلمون من

(١) مفاتيح الغيب ٢٤/٤٨٠

(٢) التحرير والتنوير ١٩/٦٨

مقابلة الجاهل بجهله. وهذا مدح لهم، بالحلم الكثير ومقابلة المسيء بالإحسان والعفو عن الجاهل ورزانة العقل الذي أوصلهم إلى هذه الحال. " [1]وفي التعبير بلفظ (سلاما) على جهة التنكير دلالة على العموم إذ يشمل أنهم " إذا خاطبهم السفهاء بالقول السيء لم يقابلوهم بمثله، بل قالوا كلاما فيه سلام من الإيذاء والإثم. سواء كان بصيغة السلام كقولهم (سلام عليكم)، أو غيرها مما فيه لطف في القول أو عفو أو صفح. كظم للغيظ دفعا بالتي هي أحسن"[2].

ثالثا الوحدات النحوية (التركيبية) ودلالتها:

دلالة الجملة الشرطية في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ ﴾ .

إذا من أدوات الشرط غير الجازمة وهي " ظرف للمستقبل مضمنة معنى الشرط غالبا ومن ثم وجب إيلاؤها الجملة الفعلية، وتختص إذا بما يتعين وجوده نحو: آتيتك إذا احمر البسر أو رجح نحو، آتيتك إذا دعوتني بخلاف (إن) فإنها تكون للمحتمل والمشكوك فيه والمستحيل كقوله تعالى: ﴿ قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ ﴾ الزخرف ٨١ ولا تدخل على متيقن ولا راجح"[3].

وعن سر التعبير بإذا دون إن يقول البقاعي " ولما ذكر ما أثمره العلم من الفعل في أنفسهم، أتبعه ما أنتجه الحلم من القول لغيرهم فقال: {وإذا} دون «إن» لقضاء العادة بتحقق مدخولها، ولم يقل: والذين كبقية المعطوفات، لأن الخصلتين كشيء واحد من حيث رجوعهما إلى التواضع {خاطبهم} خطاباً ما،

(١) تفسير السعدي ٥٨٦ .

(٢) محاسن التأويل ٤٣٦/٧ .

(٣) همع الهوامع في شرح جمع الجوامع ١٧٩/٣.

بجهل أو غيره وفي وقت ما {الجاهلون} أي الذين يفعلون ما يخالف العلم والحكمة {قالوا سلاماً } أي ما فيه سلامة من كل سوء، وليس المراد التحية – نقل ذلك سيبويه عن أبي الخطاب، قال: لأن الآية فيما زعم مكية، ولم يؤمر المسلمون يومئذ أن يسلموا على المشركين، ولكنه على قولك: تسليما لا خير بيننا وبينكم ولا شرا"(١).

وبناء على ذلك فاستعمال إذا في سياق الآية في الجملة الشرطية دلالة على أن عباد الرحمن سلوكهم الدائب وعادتهم الدائمة في جميع الأزمنة – ماضي حاضر مستقبل – هو متاركة الجهلاء الذي يجهلون عليهم في خطابهم.

و"قرن وصفهم بالتواضع في سمتهم وهو المشي على الأرض هونا بوصف آخر يناسب التواضع وكراهية التطاول وهو متاركة الذين يجهلون عليهم في الخطاب بالأذى والشتم وهؤلاء الجاهلون يومئذ هم المشركون إذ كانوا يتعرضون للمسلمين بالأذى والشتم فعلمهم الله متاركة السفهاء، فالجهل هنا ضد الحلم، وذلك أشهر إطلاقاته عند العرب قبل الإسلام وذلك معلوم في كثير من الشعر والنثر"(٢) وعلى ذلك – فالآية تبرز شخصية عباد الرحمن الورعة الضابطة للنفس والمحكمة لجمها وردعها عن الأهواء ونزعات النفس، تنعكس في كل ما يأتون به من كل قول وعمل وتتسرب إلى مشيتهم التي تتسم بالاعتدال فلا تجبر ولا تعالي يقول سيد قطب "النفس السوية المطمئنة الجادة القاصدة تخلع صفاتها هذه على مشية صاحبها فتمشي مشية سوية مطمئنة جادة قاصدة فيها وقار وسكينة وفيها جد وقوة"(٣).

---

(١) نظم الدرر ٤٢١/١٣ .

(٢) التحرير والتنوير ٦٩/١٦ .

(٣) في ظلال القرآن ٢٥٧٧/١٩ .

تعقيب: تكاتفت الوحدات الصوتية والصرفية والتركيبية في الآية الكريمة وألقت بظلالها على النص القرآني، وبينت مافيه من دلالات اجتماعية لهاعظيم الأثر على الفرد والمجتمع ؛ففي الآيةالكريمة توجيه قرآني لحث المؤمنين على التواضع لله ومع غيرهم من أفراد المجتمع وتمثل ذلك في بيان صفتين من صفات عباد الرحمن ارتبطتا جميعا لحث الفرد المسلم على التواضع والتخلق بآداب النفس العالية متمثلا في هيئة مشيته – الوقار والسكينة والتواضع لله ولعباده– على الأرض التى خلق منها البشر جميعا وهو مايدل على المساوة بينهم قاطبة، وكذلك التواضع في تعامله مع الجهلاء، فوضع القرآن الكريم منهجا للتعامل مع من يتطاول على المسلمين بالشتم والأذي؛ فأعلمهم الله سبحانه وتعالى بمتاركة هؤلاء السفهاء فعلى المسلم أن يدعهم ولا يقول لهم إلا مافيه السلامة من كل سوء.

الموضع الرابع: في قوله تعالى: ﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْأَخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (القصص: ٨٣).

مناسبة الآية لما قبلها: لما ذكر تعالى، قارون وما أوتيه من الدنيا، وما صار إليه عاقبة أمره، وأن أهل العلم قالوا ﴿ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ﴾ القصص: ٨٠) رغَّب تعالى في الدار الآخرة، وأخبر بالسبب الموصل إليها فقال: {تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ} التي أخبر الله بها في كتبه وأخبرت بها رسله، التي قد جمعت كل نعيم، واندفع عنها كل مكدر ومنغص، {نَجْعَلُهَا} دارا وقرارا {لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلا فَسَادًا}[1] فالآية الكريمة " إخبار مستأنف من الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم يُراد به إخبار جميع العالم وحضهم على السعي بحسب ما تضمنته الآية، وهذا الحض يتضمن الإنحاء على حال قارون ونظرائه، والمعنى أن الآخرة ليست في شيء من أمر قارون إنما هي لمن صفته كذا وكذا، و«العلو»

(١) تفسير السعدي صـ ٦٢٤

المذموم هو بالظلم والانتحاء والتجبر، قال النبي صلى الله عليه وسلم وذلك أن تريد أن يكون شراك نعلك أفضل من شراك نعل أخيك، و«الفساد» يعم وجوه الشر. "(١)

السياق الاجتماعي للآية الكريمة:

أخرج ابن مردويه وابن عساكر عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه كان يمشي في الأسواق وحده وهو وال يُرشد الضال ويُعين الضعيف ويمر بالبقال والبيع فيفتح عليه القرآن ويقرأ ﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ ويقول: نزلت هذه الآية في أهل العدل والتواضع في الولاة وأهل القدرة من سائر الناس(٢).

التحليل اللغوي للآية الكريمة:

أولا: الوحدات الصوتية وإيحاءتها:

بتأمل أصوات الآية الكريمة يلاحظ شيوع الأصوات المجهورة وهي أصوات سمتها الوضوح والإعلان وقد تناسبت مع الهدف الاجتماعي للآية الكريمة وهو الترغيب في الدار الآخرة وسبيل ذلك هو حض المؤمنين على التواضع وعدم التكبر في الأرض، والبعد عن الفساد، وبيان أن هذه العاقبة المحمودة هي للمتقين فقط.

وفي انتهاء فاصلة الآية بالمقطع الطويل (ص ح ح ص) في قوله (للمتقين) ما يدل على أن الجنة والعاقبة المحمودة في الآخرة هي لجميع من يتصف بالتقوي وتظهر منه صفات المتقين، وفي ذلك أيضا إيقاظ وتنبيه للمسلمين في المجتمع

(١) المحرر الوجيز ٣٠٢/٤، وينظر الجواهر الحسان ٢٨٦/٤

(٢) الدر المنثور ٤٤٤/٦

وترغيبهم في التواضع وفعل الحسنات والتقوى، وترهيبهم من الاستكبار والفساد وفعل السيئات.

ثانيا الوحدات الصرفية ودلالاتها:

التعبير بالمصدر: (علو / فساد) ودلالة التنكير فيهما:

في التعبير بالمصدر (علوا، فسادا) في الآية الكريمة توكيد وتقوية للمعنى في نفوس المتلقين للقرآن الكريم، والْعُلُوّ مصدر وهو مأخوذ من مادة (ع ل و) والتي تدل على معنى السُّمُو والارتِفَاعِ و" الْعُلُوُّ الْعَظَمَةُ وَالتَّجَبُّرُ. يَقُولُونَ: عَلَا الْمَلِكُ فِي الْأَرْضِ عُلُوًّاكَبِيرًا...وَيُقَالُ لِكُلِّ شَيْءٍ يَعْلُو: عَلَا يَعْلُو. فَإِنْ كَانَ فِي الرِّفْعَةِ وَالشَّرَفِ قِيلَ عَلِيَ يَعْلَى" [١] و"علا في الأرض: تكبَّر"[٢].

والفسادُ مصدروهو: "نَقِيضُ الصَّلَاحِ، فَسَدَ يَفْسُدُ ويَفْسِدُ وفَسُدَ فَساداً وفُسُوداً، فَهُوَ فاسدٌ وفَسِيدٌ فِيهِمَا" [٣] وبناء على ماسبق فمعنى العلو والفساد في سياق الآية: علوا أى "تعظيماً وتكبراً وتجبراً فيها عن الإيمان وَلا فَساداً في الأرض يعني: لا يريدون المعاصي في الدنيا.وروى وكيع، عن سفيان، عن مسلم لاَ يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ. يعني: التكبر بغير حق، وَلا فَساداً قال: أخذ المال بغير حق. ويقال: العلو الخطرات في القلب، والفساد فعل الأعضاء."[٤] ودلالة التنكير فيهما " ذكر العلو والفساد منكرين في حيز النفي، يدل على شمولهما لكل ما يطلق عليه أنه علو، وأنه فساد من غير تخصيص بنوع خاص، أما الفساد: فظاهر أنه لا يجوز شيء منه، كائنا ما كان، وأما العلو: فالممنوع منه ما كان على طريق التكبر على

---

(١) مقاييس اللغة ١١٣/٤ (ع ل و).

(٢) الصحاح ٢٤٣٤/٦ .

(٣) لسان العرب ٣٣٥/٣ .

(٤) بحر العلوم ٦٦٢/٢، وينظر: جامع البيان ٦٣٧/١٩ .

الغير، والتطاول على الناس، وليس منه طلب العلو في الحق، والرئاسة في الدين، ولا محبة اللباس الحسن، والمركوب الحسن، والمنزل الحسن "[١]

دلالة التعبير بالجمع في قوله تعالى: {وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ }.

المتقين جمع (متقِى) اسم فاعل من الفعل (اتقى) والمأخوذ من مادة (وقى) والتي تدل على " دَفْعِ شَيْءٍ عَنْ شَيْءٍ بِغَيْرِهِ... وَاتَّقِ اللَّهَ: تَوَقَّهُ، أَيِ اجْعَلْ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ كَالْوِقَايَةِ. قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِ تَمْرَةٍ»[٢]، وَكَأَنَّهُ أَرَادَ: اجْعَلُوهَا وِقَايَةً بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهَا"[٣] و"التَّقْوَى جعل النّفس في وِقَايَةٍ مما يخاف، هذا تحقيقه، ثمّ يسمّى الخوف تارة تَقْوَى، والتَّقْوَى خوفاً حسب تسمية مقتضى الشيء بمقتضيه والمقتضي بمقتضاه، وصار التَّقْوَى في تعارف الشّرع حفظ النّفس عمّا يؤثم، وذلك بترك المحظور، ويتمّ ذلك بترك بعض المباحات لما روي: «الحلال بيّن، والحرام بيّن، ومن رتع حول الحمى فحقيق أن يقع فيه»[٤] وأفادت صيغة جمع المتقين استمرارية ودوام حدث التقوي لأن هذه الصفة تجري مجرى الفعل في إرادة الحدث [٥]وعلى ذلك فالجنة والعاقبة المحمود لكل من يتصف بالتقوى وأن هذا الحدث مستمر إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

---

(١) فتح القدير ٢١٧/٤

(٢) الحديث أخرجه البيهقي في السنن الكبرى، باب المرأة يلزمها الحج بوجود السبيل إليه ٣٦٩/٥ (ح ١٠١٣١)

(٣) مقاييس اللغة ١٣١/٦ (وق ى)

(٤) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه ٢٠/١ (ح ٥٢)، ومسلم في صحيحه في كتاب المساقاه، باب أخذ الحلال وترك الشبهات ١٢١٩/٣ (ح ١٥٩٩)

(٥) ينظر: شرح المفصل ٢٥٠/٣

دلالة الزمن الصرفي: التعبيربالفعل المضارع المنفي بـ (لا) دون غيرها من أدوات النفي في قوله: { لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلا فَسَادًا} فيه دلالة على نفي إرادتهم للعلو والفساد في زمن المستقبل المتطاول وكذلك الزمن الحالي فهم لايريدون ذلك على مدار العصور إلى قيام الساعة و" معنى لا يريدون كناية عن: لا يفعلون، لأن من لا يريد الفعل لا يفعله إلا مكرها. وهذا من باب ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض. .. لما كان المقصود الأعظم طهارة القلب الذي عنه ينشأ عمل الجوارح، قال: {لا يريدون} ولم يقل يتعاطون – مثلاً، تعظيماً لضرر الفساد بالتنفير من كل ما كان منه تسبب، إعلاماً بأن النفوس ميالة إليه نزاعة له فمهما رتعت قريباً منه اقتحمته لا محالة"[1].

ثالثا: الوحدات النحوية (التركيبية) ودلالتها:

دلالة الجملة الإسمية في قوله تعالى: ﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ﴾ التعبيربالجملة الإسمية فيه دلالة على ثبوت والدوام لجعل الجنة للذين لا يتكبرون في الأرض ولايفسدون فيها، كما أن فيها حثا لأفراد المجتمع في التحلي بخلق التواضع والبعد عن الكبروالعجب بالنفس وسائر أنواع الفساد.

– دلالة التعبير بااسم الإشارة في قوله تعالى: { تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ}: افتتحت الآية الكريمة باسم الإشارة (تلك) وابتداء الكلام باسم الإشارة فيه تشويق للسامع أو المتلقي حيث " ابتدئ الكلام بابتداء مشوق وهو اسم الإشارة إلى غير مذكور من قبل ليستشرف السامع إلى معرفة المشار إليه فيعقبه بيانه بالاسم المعرف باللام الواقع بيانا أو بدلا من اسم الإشارة كما في قول عبيدة بن الأبرص:

(١) نظم الدرر ٣٧٢/١٤ .

تلكَ عِرسي غَضبَى تُريدُ زيالي. .. أَلبينٍ تُريدُ أم لدلالِ[١] "[٢] كما أن اسم الإشارة بطبيعة دلالته يحدد المشارإليه والمراد منه تحديدا ظاهر ويميزه تميزا كاشفا، وهذا التحديد قد يكون مقصدا مهما للمتكلم لأنه حين يكون معنيا بالحكم على المسند إليه بخبرما فإن تمييزالمسند إليه تمييزا واضحا يمنح الخبر مزيدا من القوة والتقرير [٣].

وجاء التعبير في الآية الكريمة باسم إشارة للبعيد (تلك) " تلك الدار الآخرة أي: الجنة، والإشارة إليها لقصد التعظيم لها، والتفخيم لشأنها، كأنه قال: تلك التي سمعت بخبرها، وبلغك شأنها نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض أي: رفعة وتكبرا على المؤمنين ولا فسادا أي: عملا بمعاصي الله سبحانه فيها"[٤]. وفي ذلك حض للمسلم أن يستشرف المشار إليه البعيد ويتعرف عليه.

التعبير بالجملة الإسمية: في قوله تعالى: {وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ } فيها دلالة على استمرارية وديمومة، وتأكيد المعنى في نفس المخاطب من أن العاقبة الحميدة للمتقين الذين يتقون ما لا يرضاه الله تعالى من الأفعال والأقوال [٥] وهي "حالة الفلاح والنجاح، التي تستقر وتستمر، لمن اتقى الله تعالى، وغيرهم –وإن حصل لهم بعض الظهور والراحة– فإنه لا يطول وقته، ويزول عن قريب. وعلم من هذا الحصر في الآية الكريمة، أن الذين يريدون العلو في الأرض، أو الفساد، ليس لهم في الدار الآخرة، نصيب، ولا لهم منها نصيب "[٦]

---

(١) البيت في ديوان عبيد بن الأبرص صـ ٩٦ .

(٢) التحريروالتنوير ١٨٩/٢٠ .

(٣) ينظر: خصائص التراكيب دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني د/ محمد محمد أبو موسى صـ ٢٠٠ .

(٤) فتح القدير ٢١٧/٤، وينظر الكشاف ٤٣٥/٣، ومفاتيح الغيب ١٣/٢٥ .

(٥) ينظر إرشاد العقل السليم ٢٧/٧ .

(٦) تفسير السعدي صـ ٦٤٢ .

تعقيب: تكاتفت الوحدات الصوتية والصرفية والتركيبية في الآية الكريمة في ترغيب المسلمين في التواضع وفعل الصالحات وتنفيرهم من العلو والتكبر وجميع المعاصي، وهو ما له عظيم الأثر في تعديل سلوك أفراد المجتمع إذا علموا أن الجنة والفوز بها للمتقين المتواضعين الذين لا يريدون استكبارا ولافسادا في الأرض وبناء على ذلك تصبح "إرادتهم مصروفة إلى الله، وقصدهم الدار الآخرة، وحالهم التواضع لعباد الله، والانقياد للحق والعمل الصالح"(١).

(١) تفسير السعدي صـ ٦٢٤ .

المبحث الثالث

من الآيات الدالة على حث الأبناء على التواضع

أولا: من الآيات الدالة على حث الأبناء على التواضع للوالدين:

ورد ذلك في قوله تعالى: ﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِى نُفُوسِكُمْ ۚ إِن تَكُونُواْ صَٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا ﴿٢٥﴾ ﴾ (الإسراء: ٢٣ – ٢٥).

الآيات الكريمة، ترسم أدب الحديث مع الوالدين فى حال بلوغهما الكبر..فالكلمة النابية تجرح مشاعرهما، وتكدر خاطرهما، والكلمة الطيبة تنعش روحيهما وتشرح صدريهما.. إن الأبوين فى حال الكبر لا يحتاجان إلى كثير من الطعام أو الكساء، أو غيرهما من متع الحياة، وإنما الذي يحتاجان إليه فى تلك الحال، هو الإحسان إليهما بالكلمة الطيبة، إذ كان أكثر ما يملكانه ويتعاملان به فى هذه الحال هو الكلام، أخذا، وعطاء.[١]

ولعظم الأمر بالإحسان إلى الوالدين جاء التعبير القرآني بهما بعد الأمر بعباده وحده، ولقد كرّر الله سبحانه في كتابه الوصية بالوالدين ومن ذلك قوله تعالى: {وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا } (النساء ٣٦)، وقوله:{قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا } (الأنعام ١٥١)، ودل السياق الخارجي على ذلك الأمر فعن النبىّ صلى الله عليه وسلم أنه قال " أنت ومالك لأبيك"[٢] وقال: «إياكم وعقوق الوالدين، فإنّ الجنة توجد

(١) التفسير القرآني للقرآن ٤٧٣/٨ .

(٢) الحديث أخرجه ابن ماجه في سننه، باب الشركة والمضاربة، باب ماللرجل من مال ولده ٧٦٩١/٢ .

ريحها من مسيرة ألف عام، ولا يجد ريحها عاق ولا قاطع رحم ولا شيخ زان ولا جارّ إزاره خيلاء، إنّ الكبرياء لله رب العالمين»[١] وروي عنه «رِضَا الرَّبِّ فِي رِضَا الوَالِدِ، وَسَخَطُ الرَّبِّ فِي سَخَطِ الْوَالِدِ»[٢] وقوله «أَلَا أُحَدِّثُكُمْ بِأَكْبَرِ الكَبَائِرِ؟» قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «الإِشْرَاكُ بِاللَّهِ، وَعُقُوقُ الوَالِدَيْنِ». [٣]

التحليل اللغوي للآيات الكريمة:

أولا: الوحدات الصوتية وإيحاءتها:

بتأمل أصوات الآية الكريمة يلاحظ غلبة الأصوات المجهورة وهى أصوات سمتها الاعلان والوضوح جاءت متناسبة مع الهدف الاجتماعي من الآيات الكريمة وهو حث المؤمنين على عبادة الله وحده والاحسان إلى الوالدين ولين الجانب والتواضع معهما وخاصة في حال الكبر واحتياجهما إلى مساعدة الأبناء، كذلك يلاحظ غلبة وشيوع الأصوات المستفلة وهي أصوات تحاكي حال الفرد في تواضعه مع والديه والإحسان إليهما.

أما أصوات التفخيم والاستعلاء (ق–ض–غ –ص) فجاءت منبة على عِظم الأمر بالإحسان إلى الوالدين والتواضع لهما وحسن الخطاب معهما، وأما الصائت الطويل في الآيات ففيه تنبيه للمتلقي وإيقاظه إلى هدف الآية الكريمة وهو عبادة الله وحده، والإحسان إلى الوالدين والتواضع لهما، وعِظم وضرورة هذا الأمر عند الله سبحانه وتعالى كما دل على ذلك أيضا السياق الخارجي المتمثل في أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم.

---

(١) الحديث في جمع الجوامع المعروف بالجامع الكبير للسيوطي ٣٧٠/٣ .

(٢) الحديث أخرجه الترمذي في سننه في أبواب البر والصلة، باب ما جاء من الفضل في رضا الوالدين ٨١٠/٤ (ح ١٨٩٩).

(٣) الحديث أخرجه النرمذي في سننه في أبواب البر والصله، باب ماجاء في عقوق الوالدين ٣١٢/٤ (ح ١٩٠١).

كما يُلاحظ انتهاء الفاصلة القرآنية في الآيات بالمقطع المفتوح (ص ح ح) في: (إحسانا) (كريما) (صغيرا) وفي انتهاء الفاصلة بذلك إيقاظ وتنبية للمخاطب بعظم الإحسان إلى الوالدين، وتذكير له بما فعله له الوالدين في حالة الصغر، وأن عليه رد ذلك الجميل لهما في كبرهما بالدعاء لهما بالرحمة والتواضع لهما واللين والرفق بهما قولا وفعلا.

الدلالة الإيحائية لأصوات لفظة (أُف) وسر التعبير بها:

أف: اسم للفعل بمعنى أتضجر وهو مأخوذ من مادة (أ ف) والتي تدل على معنى تكره الشيء[١] يقال "أُفٍّ يئف أفا وَقَالُوا يؤف أَيْضا إِذا تأفف من كرب أَو ضجر."[٢] ويقال: " أَفًّا له وأُفّةً، أي قَذَراً له. والتنوين للتنكير"[٣] وآثر التعبير القرآني لفظة أف للدلالة على الضجر والتكره ولم يستعمل غيرها من الألفاظ التي لها نفس الدلالة وذلك لما في أصواتها من دلالة إيحائية؛ فصوت الهمزة وهي أبعد الحروف مخرجا؛ فمخرجها من أقصى الحلق مهتوتة مضغوطة، فَإِذا رُفِّه عَنْهَا لانت وَصَارَت الْيَاء وَالْألف وَالْوَاو على غير طَرِيقَة الْحُرُوف الصِّحَاح." [٤] فهي تخرج بعصر وضغط واجتهاد وهي أعمق الحروف وأبعدها مخرجا[٥]، والهمزة من أثقل الحروف؛ إذ هي " هي صوت شديد يمنع النفس أن يجري، وهذا مستثقل لأن الأصل هو انطلاق النفس واسترساله دخولا وخروجا، وعلى ذلك فإن أحصرالحروف للنفس أشدها ثقلا، وإنما يتفاوت الثقل الحصر بقرب موضعه من

(١) مقاييس اللغة (أف).
(٢) جمهرة اللغة ٢١/١ باب الهمزة .
(٣) الصحاح ٣٣١/٤ (أ ف ف) .
(٤) العين ٥٢/١، وينظر: تهذيب اللغة اللغة ٧٣/١، ولسان العرب (هـ ت ت) .
(٥) ينظر الكتاب ٥٤٨/٣ .

موضع انطلاق النفس. ..ومن هنا فحبس الهواء عند الوترين الصوتيين في نطق الهمزة أجهد وأشق منه عند الشفتين في نطق الباء مثلا"[١] وأما صوت الفاء وهي من الحروف الشفوية والتي تخرج بالتقاء أطراف الثنايا العليا بباطن الشفة السفلى[٢]، وهي صوت مهموس رخو مستفل منفتح و"ضُمت إلى حروف الذلاقة واتصفت بها ليسر نطقها، إذا لاتكاد تكلف الجهاز الصوتي إلا جذب الشفة السفلى إلى الداخل قليلا فيلتقى باطنها بأطراف الثنايا العليا ".[٣]وتعبر الفاء صوتيا عن معنى الطرد والإبعاد [٤] فلفظة أف تشكلت من صوتين أحدهما صوت ثقيل وهو الهمزة والآخر صوت ضعيف وإن شئت فقل أضعف الحروف وهو في ذلك يصور معنى الأف وما فيه من ضيقً وكراهة واستثقال لشيء ما ورغبة في إبعاده من ناحية بأوجز كلمة تدل على الأذى، ومن ناحية أخري فإنه يجسد أثر ذلك اللفظ على الوالدين وثقله عليهما عند سماعه، كما أنه يعبر عن خفة وطيش الإبن عند قوله ذلك اللفظ لوالديه.

ثانيا الوحدات الصرفية ودلالاتها:

التعبيربالوحدة الصرفية المصدر: شاع التعبير بالمصدر في الآيات الكريمة وفي ذلك تقوية وتأكيد للهدف الاجتماعي من الآية في نفس المؤمن وهوعبادة الله وحده، والإحسان إلى الوالدين والتواضع لهما وفيما يلي توضيح لتلك المصادر:

(١) أصوات اللغة العربية صـ ١٣٤ .

(٢) ينظر الكتاب ٤٣٣/٤ .

(٣) أصوات اللغة العربية صـ ٢٢٦ .

(٤) ينظر المعنى الاشتقاقي المؤصل صـ ٤٧ .

إحسانا: مصدر الفعل أحسن والإحسان: " ضِدُّ الإِسَاءَةِ، وَالْقَبِيحِ"[١] وورد لفظ (إحسانا) بالتنكير دلالة على التعظيم، ويشمل الإحسان كل ما يصدق فيه هذا الجنس من الأقوال والأفعال والبذل والمواساة.[٢]والمعنى:" وقضى ربك أن تحسنوا إلى الوالدين إحسانا عظيما كاملا، وذلك لأنه لما كان إحسانهما إليك قد بلغ الغاية العظيمة وجب أن يكون إحسانك إليهما كذلك، ثم على جميع التقديرات فلا تحصل المكافأة، لأن إنعامهما عليك كان على سبيل الابتداء، وفي الأمثال المشهورة أن البادي بالبر لا يكافأ[٣].

الْكِبَرُ: مصدر من مادة (ك ب ر) والتي تدل على" خِلَافِ الصِّغَرِ. .. وَمِنَ الْبَابِ الْكِبَرُ، وَهُوَ الْهَرَمُ. " [٤] و"الكِبَرُ في السنّ وقد كَبِرَ الرجل يَكْبَرُ كِبَراً، أي أسن، ومكبرا أيضا، بكسر الباء. ويقال: علاه المَكْبِرُ. والاسم الكَبْرَةُ بالفتح." [٥] والمراد منه في الآية بلوغ الوالدين أو أحدهما هذا السن وهما في كنف أولادهم ومعهم في مكان واحد.

(الذلّ): مصدر سماعيّ لفعل ذلّ الثلاثيّ، وزنه فعل بضمّ فسكون من مادة (ذُ ل) والتي تدل على "الْخُضُوعِ، وَالِاسْتِكَانَةِ، وَاللِّينِ. فَالذُّلُّ: ضِدُّ الْعِزِّ... وَالذُّلُّ خِلَافُ الصُّعُوبَةِ" [٦] والمراد منه في السياق التواضع للوالدين واللين والرفق بهما والحنو عليهما.

---

(١) النَّظْمُ المُسْتَعْذَبُ فِي تفْسِير غريبِ أَلْفَاظِ المهَذّبِ لابن بطال ٢٢٦/٢.

(٢) التحرير والتنوير ٦٨/١٥ .

(٣) مفاتيح الغيب ٣٢٣/٢٠ .

(٤) مقاييس اللغة ١٥٤/٥ (ك ب ر).

(٥) الصحاح ٨٠١/٢ (ك ب ر).

(٦) مقاييس اللغة ٣٤٥/٢ (ذ ل).

قولا: مصدر من الفعل (قال) " وَهُوَ الْقَوْلُ مِنَ النُّطْقِ. يُقَالُ: قَالَ يَقُولُ قَوْلًا".[١] ووصفه بالكريم أي المبالغ في حسنه وفي الآية دلالة على البر بالوالدين لايكون بالأفعال فقط وإنما بالأقوال أيضا ومن ذلك أيضا الدعاء لهما بالرحمة بعد موتهما.

الرحمة: مصدر من مادة (ر ح م) والتي تدل على " الرِّقَّةِ وَالْعَطْفِ وَالرَّأْفَةِ. يُقَالُ مِنْ ذَلِكَ رَحِمَهُ يَرْحَمُهُ، إِذَا رَقَّ لَهُ وَتَعَطَّفَ عَلَيْهِ. وَالرُّحْمُ وَالْمَرْحَمَةُ والرَّحْمَةُ بِمَعْنًى"[٢].

صيغ المبالغة: وهي أسماء تشتق من الأفعال للدلالة على معنى اسم الفاعل مع تأكيد المعنى وتقويته والمبالغة فيه"[٣] وورد منها في الآيات الكريمة:

(صيغة فعيل) (كَرِيما) في قوله تعالى ﴿ وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴾ (كَرِيما) صيغة فعيل من مادة (ك رم) والتي تدل على " شَرَف فِي الشَّيْءِ فِي نَفْسِهِ أَوْ شَرَفٌ فِي خُلُقٍ مِنَ الْأَخْلَاقِ. يُقَالُ رَجُلٌ كَرِيمٌ، وَفَرَسٌ كَرِيمٌ، وَنَبَاتٌ كَرِيمٌ." [٤] ووصف القول بالكريم المقصود منه المبالغة في حسن وطيب القول الصادر من الإبن لوالديه.

(صَغِيرا): في قوله تعالى: ﴿ وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا ﴾ صيغة مبالغة من مادة (ص غ ر) والتى تدل على " قِلَّةٍ وَحَقَارَةٍ. مِنْ ذَلِكَ الصِّغَرُ: ضِدُّ الْكِبَرِ. وَالصَّغِيرُ: خِلَافُ الْكَبِيرِ. "[٥] وصفه بالصغير مبالغة في صغره وأن المقصود بها التربية في الصغرمن بداية الولادة والرضاعة ومرحلة الطفولة.

---

(١) مقاييس اللغة ٤٢/٥ (ق ول).

(٢) مقاييس اللغة ٤٩٨/٢ (ر ح م)، وينظر الصحاح ١٩٢٩/٥ (ر ح م) .

(٣) التطبيق الصرفي د /عبده الراجحي صـ ٧٧.

(٤) مقاييس اللغة ١٧٢/٥ (كرم)، وينظر: المفردات صـ ٧٠٧ .

(٥) مقاييس اللغة ٢٩٠/٣ (ص غ ر)

- دلالة صيغة (فعَّال): (أوَّاب):

(آوَّاب) في قوله تعالى: ﴿ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا ﴾ صيغة مبالغة[١] من مادة (أ وب) والتي تدور حول معنى الرجوع[٢] و(الأوابين) جمع أوَّاب "والأوَّاب كالتوّاب، وهو الراجع إلى الله تعالى بترك المعاصي وفعل الطاعات"[٣] وهو " التواب الكثير الرجوع إلى الله تعالى وطلب مرضاته ومن عادته أن يكثر ذكر الله ويديم تسبيحه وتقديسه. " [٤] وعلى هذا فصيغة (فَعَّال) أواب تدل على الحرفة والصناعة وتقتضي الاستمرار والتكرار، والإعادة والتجدد والمعاناه والملازمة "[٥] فالفرد المسلم لابد أن يكون دائم الرجوع إلى ربه سبحانه وتعالى، مستمر في ذكره وتسبيحه لا يقطع ذلك أبدا، بل يكون ذلك الرجوع دأبه وعادته اليومية حتى ينال مغفرته سبحانه وتعالى.

ثالثا الوحدات النحوية (التركيبية) ودلالتها:

دلالة الجملة الخبرية: قوله تعالى: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾.

التعبير بالجملة الخبرية فيه دلالة لتأكيد مضمون الخطاب في نفوس المتلقين له والمعنى " أمر ربك أن لا تطيعوا أحداً إلا إياه، يعني: إلا الله تعالى، فلا تطيعوا أحداً في المعصية وتطيعوا الله في الطاعة، ويقال لا توحدوا إلا الله. وَبِالْوالِدَيْنِ إِحْساناً أي: أمر بالإحسان إلى الوالدين بِراً بهما وعطفاً عليهما"[٦]

(١) ينظر شرح شافية ابن الحاجب ٨٥/٢.

(٢) مقاييس اللغة ١٥٢/١ (أ وب) .

(٣) المفردات صـ ٩٧، وينظر المصباح المنير صـ ٢٨ .

(٤) الكشاف ٧/٣ .

(٥) معاني الأبنية صـ ٩٦ .

(٦) بحر العلوم ٣٠٦/٢ وينظر: جامع البيان ٤١٣/١٧.

وافتتحت هذه الأحكام والوصايا بفعل القضاء اهتماما به وأنه مما أمر الله به أمرا جازما وحكما لازما، وليس هو بمعنى التقدير... وابتدئ هذا التشريع بذكر أصل التشريعة كلها وهو توحيد الله، فذلك تمهيد لما سيذكر بعده من الأحكام.وجيء بخطاب الجماعة في قوله: ألا تعبدوا إلا إياه لأن النهي يتعلق بجميع الناس وهو تعريض بالمشركين. والخطاب في قوله: ربك للنبي صلى الله عليه وسلم كالذي في قوله قبل: ﴿مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ﴾ [الإسراء: ٢٠]، والقرينة ظاهرة. ويجوز أن يكون لغير معين فيعم الأمة والمآل واحد. وابتدئ التشريع بالنهي عن عبادة غير الله لأن ذلك هو أصل الإصلاح، لأن إصلاح التفكير مقدم على إصلاح العمل، إذ لا يشاق العقل إلى طلب الصالحات إلا إذا كان صالحا... وعطف الأمر بالإحسان إلى الوالدين على ما هو في معنى الأمر بعبادة الله لأن الله هو الخالق فاستحق العبادة لأنه أوجد الناس. ولما جعل الله الأبوين مظهر إيجاد الناس أمر بالإحسان إليهما، فالخالق مستحق العبادة لغناه عن الإحسان، ولأنها أعظم الشكر على أعظم منة، وسبب الوجود دون ذلك فهو يستحق الإحسان لا العبادة لأنه محتاج إلى الإحسان دون العبادة، ولأنه ليس بموجد حقيقي، ولأن الله جبل الوالدين على الشفقة على ولدهما، فأمر الولد بمجازاة ذلك بالإحسان إلى أبويه كما سيأتي وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا(١).

– دلالة الجملة الشرطية: أسلوب الشرط فيه تشويق وإثارة للمتلقي له؛ إذ هو أسلوب يأتي بمقدمة يترقب لها المتلقي نتيجة فيظل منتبها ومتشوقا لمعرفة النتيجة وقد ورد أسلوب الشرط في موضعين من الآيات: الأول في قوله تعالى: ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾.

(١) التحرير والتنوير ٦٨/١٥ .

افتتحت الجملة بآدة الشرط وهي " إمَّا هي «إن» الشرطية زيدت عليها «ما» تأكيدا لها، ولذلك دخلت النون المؤكدة في الفعل، ولو أفردت «إن» لم يصح دخولها"(١) وقوله تعالى:{إِمَّا يَبْلُغَنَّ} قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو وعاصم، وابن عامر: «يبلغنَّ» على التوحيد. وقرأ حمزة، والكسائي، وخلف: «يبلغانِّ» على التثنية. قال الفراء: جعلت «يبلغن» فعلاً لأحدهما وكدَت عليهما «كلاهما» ومن قرأ «يبلغانِّ» فإنه ثنَّى لأن الوالدين قد ذُكرا قبل هذا، فصار الفعل على عددهما، ثم قال: أَحَدُهُما أَوْ كِلاهُما على الاستئناف.(٢) وقيل "الحجة لمن أثبت الألف: أنه جعلها ضميرا للوالدين، وكناية عنهما لتقدّمهما، وأسقط النون التي هي علامة الإعراب لدخول حرف الشرط وأتى بنون التأكيد الشديدة، وبني الفعل معها، لأنها مانعة من الإعراب، وكسرت تشبيها بنون الاثنين. والحجة لمن طرح الألف: أنه صاغ الفعل لقوله: (أحدهما) ونصب الكبر بتعدّى الفعل إليه، وأتى بالنون الشديدة لدخول «إمّا» على الفعل لأنها قلّما تدخل على فعل إلا أتى فيه بالنون الشديدة للتأكيد"(٣) وورد عن مكي في بيان حجة القراءتين قوله "حجة من قرأ بألف أنه ثنى الفعل لتقدم ذكر الوالدين وأعاد الضمير في أحدهما عن طريق التأكيد، كما قال ﴿ أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ ﴾ (النحل ٢١)، ويجوز أن يكون وقعت التثنية في هذا الفعل على لغة من رأى ذلك من العرب يُثنَّون الفعل وهو متقدم كما ثبتت علامة التأنيث في الفعل وهو متقدم، ويجوز أن يكون وقعت التثنية في يبلغن لتقدم ذكر الوالدين ثم أبدل أحدهما أو كلاهما من الضمير في يبلغن، وحجة من قرأ بغير الألف أنه لما رأى الفعل متقدما قد رفع أحدهما أو كلاهما وحده على الأصول في تقدم

(١) الكشاف ٦٥٧/٢ .

(٢) زاد المسير ١٨/٣وينظر توثيق القراءتين في: النشر قي القراءات العشر ٢/ ٣٠٦ .

(٣) الحجة في القراءات السبع لابن خالوية ص ١٢٥ .

الفعل، واستغني بلفظ التثنية عن تثنية الفعل وهو المختار "[١] ويمكن القول بأن قراءة (يبلغانِّ) لها دلالة أن على المرء رعاية والديه على مرالعصور، وأما عن علة تخصيص حالة الكبربالبر وإن كان لهما واجبا في سائر الأوقات؛ فلأنهما "عند الكبر يثقل عليهما الاضطراب والخدمة، فخصّا بالبر فيه لذلك. وتقول العرب: (فلان أبرّ بوالديه من النّسر) لأن أباه إذا كبر، ولم ينهض للطيران لزم وكره وعاد الفرخ عليه فزقّه، كما كان أبوه يفعل به"[٢].

دلالة الظرف (عندك): معنى عندك " هو أن يكبرا ويعجزا، وكانا كلا على ولدهما لا كافل لهما غيره، فهما عنده في بيته وكنفه، وذلك أشق عليه وأشدّ احتمالا وصبرا، وربما تولى منهما ما كانا يتوليان منه في حال الطفولة، فهو مأمور بأن يستعمل معهما وطأة الخلق ولين الجانب والاحتمال، حتى لا يقول لهما إذا أضجره ما يستقذر منهما أو يستثقل من مؤنهما: أف، فضلا عما يزيد عليه. ولقد بالغ سبحانه في التوصية بهما حيث افتتحها بأن شفع الإحسان إليهما بتوحيده، ونظمهما في سلك القضاء بهما معا، ثم ضيق الأمر في مراعاتهما حتى لم يرخص في أدنى كلمة تنفلت من المتضجر مع موجبات الضجر ومقتضياته، ومع أحوال لا يكاد يدخل صبر الإنسان معها في استطاعة "[٣] وقوله (أحدهما أو كلاهما): بدل منه. وقال أبو علي: هو توكيد.ويجوز أن يكون أحدهما مرفوعا بفعل محذوف؛ أي إن بلغ أحدهما أو كلاهما؛ وفائدته التوكيد أيضا"[٤].

(١) كتاب الكشف عن وجوه القراءات السبع ٢/٤٣-٤٤.

(٢) الحجة في القراءات السبع ص ١٢٥.

(٣) الكشاف ٢/٦٥٨ .

(٤) التبيان ٢/٨١٧ .

الثاني: في قوله تعالى: ﴿ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ ۚ إِن تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا ﴾ والمعنى "بِما فِي نُفُوسِكُمْ بما في ضمائركم من قصد البر إلى الوالدين واعتقاد ما يجب لهما من التوقير إِنْ تَكُونُوا صالِحِينَ قاصدين الصلاح والبر، ثم فرطت منكم- في حال الغضب، وعند حرج الصدر وما لا يخلو منه البشر، أو لحمية الإسلام- هنة تؤدّى إلى أذاهما، ثم أنبتم إلى الله واستغفرتم منها، فإن الله غفور لِلْأَوَّابِينَ للتوّابين. وعن سعيد بن جبير: هي في البادرة تكون من الرجل إلى أبيه لا يريد بذلك إلا الخير. وعن سعيد بن المسيب: الأوّاب الرجل كلما أذنب بادر بالتوبة. ويجوز أن يكون هذا عامّاً لكل من فرطت منه جناية ثم تاب منها، ويندرج تحته الجاني على أبويه التائب من جنايته، لوروده على أثره"[١].

دلالة النهي: في قوله تعالى - ﴿ فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا ﴾ فيه نهي للأبناء عن ذكر القول المؤذي الموحش للوالدين ونهي عن زجرهما وردهما ومخالفتهما في الكلام فكلمة (أف): اسم للفعل، ومعناه التضجر والكراهية. والمعنى: لا تقل لهما: كفا، أو اتركا. وقيل: هو اسم للجملة الخبرية ; أي كرهت، أو ضجرت من مداراتكما[٢] و"ليس المقصود من النهي عن أن يقول لهما أف خاصة، وإنما المقصود النهي عن الأذى الذي أقله الأذى باللسان بأوجز كلمة، وبأنها غير دالة على أكثر من حصول الضجر لقائلها دون شتم أو ذم، فيفهم منه النهي مما هو أشد أذى بطريق فحوى الخطاب بالأولى"[٣]؛ فعلى الإبن ألا يتأفف من شيء يراه من أحدهما أومنهما مما يتأذى به الناس، ولكن عليه الصبرعلى ذلك

(١) الكشاف ٦٦٠/٢ .

(٢) التبيان في إعراب القرآن ٢١٧/٢ .

(٣) التحرير والتنوير ٧٠/١٥ .

منهما، وان يحتسب في الأجر صبره عليهما، كما صبرا عليه في صغره[١]. وقوله {ولا تنهرهما}: "النَّهْرُ: من الِانْتِهَار، يُقَال: نهَرْتهُ وانتهَرْته: إذا استقبلتَه بكلامٍ تزجُرُه عَن خَبر"[٢] و"النهر: زجر بإغلاظ وصياح"[٣]. والمعنى على ذلك "ولا تزجرهما عما يتعاطيانه مما لا يعجبك"[٤].

دلالة أسلوب الأمر:

في قوله تعالى – ﴿ وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴾ أسلوب أمر من الله سبحانه وتعالى للأبناء، والغرض منه حث الأبناء على بر الوالدين وأن يقولوا لهما قولا طيبا كريما جميلا بدلا من الأف والنهر وهذا "ما يقتضيه حسن الأدب والنزول على المروءة. وقيل: هو أن يقول: يا أبتاه، يا أماه، كما قال إبراهيم لأبيه: يا أبت، مع كفره، ولا يدعوهما بأسمائهما فإنه من الجفاء وسوء الأدب."[٥]و"عن عطاء أن يقال: هو أن تتكلم معه بشرط أن لا ترفع عليهما صوتك ولا تشد إليهما نظرك، وذلك لأن هذين الفعلين ينافيان القول الكريم." [٦] وعلى ذلك فإنه يجب على الأبناء مراعاة مشاعر الوالدين خاصة في حال الكبر بانتقاء الألفاظ التى يتحدثون بها معهم؛ فالكلمة الطيبة تُريح القلب وتُطيب الخاطر وتُؤثر عليهم تأثيرا كبيرا.

وفي أسلوب الأمر في قوله تعالى: قوله: ﴿ وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ ﴾.

---

(١) ينظر جامع البيان ٤١٥/١٧.

(٢) تهذيب اللغة ١٤٩/٦ أبواب الهاء والراء، وينظر لسان العرب ٢٣٩/٥، تاج العروس ٣١٦/١٤ (ن هـ ر) .

(٣) نظم الدرر ٤٠١/١١.

(٤) الكشاف ٦٥٨/٢ .

(٥) الكشاف ٦٦٠/٢ .

(٦) مفاتيح الغيب ٣٦٢/٢٠ .

أمر وحث للأبناء على لين الجانب للوالدين والتواضع لهما والمعنى " ألن جانبك لهما واخضع لهما. وقال عروة بن الزبير: ألن لهما حتى لا تمتنع عن شيء أحباه من الرحمة، من الشفقة"(١) أي " من فرط رحمتك عليهما لافتقارهما إلى من كان أفقر خلق الله تعالى إليهما بالأمس".(٢) والمقصود من قوله: {وَاخْفِضْ لَهُما جَناحَ الذُّلِّ} هو المبالغة في التواضع للوالدين، وذكر الرازي في بيان ذلك وجهين نقلهما عن القفال " الأول: أن الطائر إذا أراد ضم فرخه إليه للتربية خفض له جناحه، ولهذا السبب صار خفض الجناح كناية عن حسن التربية، فكأنه قال للولد: اكفل والديك بأن تضمهما إلى نفسك كما فعلا ذلك بك حال صغرك. والثاني: أن الطائر إذا أراد الطيران والارتفاع نشر جناحه وإذا أراد ترك الطيران وترك الارتفاع خفض جناحه فصار خفض الجناح كناية عن فعل التواضع من هذا الوجه"(٣). وأضيف الجناح "إلى الذل للبيان والمبالغة، والمعنى واخفض لهما جناحك الذليل. وقرئ «الذل» بالكسر وهو الانقياد والنعت منه ذلول. مِنَ الرَّحْمَةِ من فرط رحمتك عليهما لافتقارهما إلى من كان أفقر خلق الله تعالى إليهما بالأمس(٤).

وفي أسلوب الأمر في قوله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا﴾ أمر للأبناء بأن يدعو الله سبحانه وتعالى بأن يرحم أباءهم رحمة مثل رحمتهم بهم وتربيتهم لهم في الصغر ولا يكتفوا برحمتهم بهم فقط وفي ذلك دلالة على أنه " لم يقتصر في تعليم البر بالوالدين على تعليم الأقوال بل أضاف إليه تعليم الأفعال وهو أن يدعو لهما بالرحمة فيقول: رب ارحمهما ولفظ الرحمة جامع لكل الخيرات

(١) معالم التنزيل ١٢٧/٣ .
(٢) أنوار التنزيل ٢٥٢/٣ .
(٣) مفاتيح الغيب ٣٢٦/٢٠.
(٤) أنوار التنزيل ٢٥٢/٣ .

في الدين والدنيا. ثم يقول: كما ربياني صغيرا يُعَيِّن: رب افعل بهما هذا النوع من الإحسان كما أحسنا إليَّ في تربيتهما إيايَ، والتربية هي التنمية، وهي من قولهم ربا الشيء إذا انتفع، ومنه قوله تعالى: ﴿ فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡ ﴾ [فصلت: ٣٩][1]. وفي حذف أداة النداء من قوله: (وقل رب ارحمهما) مايدل على وجوب إسراع الأبناء ووامتثالهم واستجابتهم لأمر الله تعالى في أن يبادروا في دعائه سبحانه بأن يرحم أباءهم كما كانوا رحماء بهم في حالة الصغر. كما يلاحظ في الجمل الأمرية السابقة أن الأمر ورد على حقيقته مرادا به معنى الوجوب وفي ذلك تأكيد على وجوب بر الوالدين والإحسان إليهما والتواضع لهما، والمبالغة في تعظيمها.

التعقيب: تكاتفت الوحدات الصوتية والصرفية والتركيبية في الآيات الكريمة مبينة ومؤكدة على الدلالات الاجتماعية المقصودة من الآيات الكريمة وهي:

- وجوب عبادة الله سبحانه وتعالى وحده؛ فهو سبحانه وحده يستحق العبادة؛ فالعبادة فيها تعظيم للإله، والله وحده هو المنعم علينا بالخلق وبالوجود.
- وجوب بر الوالدين والإحسان إليهما والتواضع لهما، والدعاء لهما بالرحمة، وجاءت ألفاظ الآيات مؤكدة ومبالغة في ذلك مما يدل على عِظم هذ الأمر، كما بينت مقصد الإسلام من الأمر ببر الوالدين وبصلة الرحم وأنه ينحل إلى مقصدين: " أحدهما: نفساني وهو تربية نفوس الأمة على الاعتراف بالجميل لصانعه، وهو الشكر، تخلقا بأخلاق الباري تعالى في اسمه الشكور، فكما أمر بشكر الله على نعمة الخلق والرزق أمر بشكر الوالدين على نعمة الإيجاد الصوري ونعمة التربية والرحمة. وفي الأمر بشكر الفضائل تنويه بها وتنبيه على المنافسة في إسدائها.

(١) مفاتيح الغيب ٣٢٧/٢٠ .

والمقصد الثاني: عمراني، وهو أن تكون أواصر العائلة قوية العرى مشدودة الوثوق فأمر بما يحقق ذلك الوثوق بين أفراد العائلة، وهو حسن المعاشرة ليربي في نفوسهم من التحاب والتواد ما يقوم مقام عاطفة الأمومة الغريزية في الأم، ثم عاطفة الأبوة المنبعثة عن إحساس بعضه غريزي ضعيف وبعضه عقلي قوي حتى أن أثر ذلك الإحساس ليساوي بمجموعه أثر عاطفة الأم الغريزية أو يفوقها في حالة كبر الابن. ثم وزع الإسلام ما دعا إليه من ذلك بين بقية مراتب القرابة على حسب الدنو في القرب النسبي بما شرعه من صلة الرحم، وقد عزز الله قابلية الانسياق إلى تلك الشرعة في النفوس"(١).

ثانيا: من الآيات الدالة على حث الأبناء على التواضع مع الناس: (غرس خلق التواضع في نفوس الأبناء) ومن ذلك ما ورد في سياق وصايا لقمان لابنه في قوله تعالى: ﴿ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرۡ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٖ ﴿١٨﴾ وَٱقۡصِدۡ فِي مَشۡيِكَ وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ ﴿١٩﴾ ﴾ (لقمان: ١٧ – ١٩).

التحليل اللغوي للآيات الكريمة:

أولا: الوحدات الصوتية وإيحاءتها:

بتأمل الأصوات التي تشكلت منها ألفاظ الآيات القرآنية الكريمة يتبين شيوع الأصوات المجهورة وهي أصوات سمتها الإعلان والوضوح والتى أبرزت الدلالات الاجتماعية للآيات الكريمة، والتي جاءت في صورة وصايا من الأب لابنه، وهي وصايا توضح له تعامله مع الخالق سبحانه وتعالى، كما تبين له آداب وسلوكيات تعامله مع الخلق فنهاه عن احتقارهم والتكبر عليهم. ويُلاحظ كذلك شيوع

(١) التحرير والتنوير ٧٣/١٥ .

الأصوات المنفتحة والمستفلة وهي ما تتناسب مع خطاب التحبيب وحالة النصح من الأب لابنه. كما يلاحظ أن صوت الصاد كان له حضور لافت في الآيات وهو صوت مستعل مفخم، صفيري وهو بذلك يتناسب مع الغرض الاجتماعي من الخطاب في الآيات ومقصوده؛ فهي وصايا عظيمة ضمت في طياتها هدف اجتماعي عظيم وهو غرس خلق التواضع في نفوس الأبناء وتعظيم شأن هذا الخلق. كما كان للمقاطع الصوتية دور في تبليغ هذه الوصايا؛ حيث شاعت في الآيات الكريمة المقاطع الصوتية القصيرة المفتوحة والتي تتسم بخفتها وسرعتها وفي ذلك تأثير على المتلقي فيستجيب لما يلقى إليه.

ويُلاحظ انتهاء فاصلة الآيات الكريمة بالمقطع الطويل المغلق (ص ح ح ص) في (الأمور – فخور – الحمير) ولعل في ذلك إيقاظ وتنبيه للمخاطب بتلك الوصايا الواردة في الآية وهذا مما يسترعى انتباهه لفحوي الخطاب فيلمس قلبه وعقله ويستجيب لما فيه من أهداف اجتماعية وقيم تربوية عظيمة.

ثانيا: الوحدات الصرفية ودلالتها:

التعبير بالوحدة الصرفية (المصدر): شاع في الآيات الكريمة التعبير بالوحدة الصرفية (المصدر) وفي التعبير به تقوية وتأكيد للدلالات الاجتماعية المقصودة من الآيات وفيما يلي توضيح لهذه المصادر وبيان معانيها:

الصَّلاة: الصَّلاة: الدُعاء... والصَلاة من الله تعالى: الرَّحمة. والصلاةُ: واحدة الصَلَواتِ المفروضة، وهو اسم يوضع موضع المصدر. تقول: صليت صلاة، ولا تقل تَصْلِيَةً. وصَلَّيْتُ على النبي صلى الله عليه وسلم. "[1] والمقصود منها في قوله تعالى{ يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ} الصلاة المفروضة التي فرضها الله في اليوم والليلة.

(١) الصحاح ٦/٢٤/٠٢ (ص ل ا).

عَزْم: في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ العَزْم مصدر من مادة (ع زم) التي تدل على" الصَّرِيمَةِ وَالْقَطْعِ. يُقَالُ: عَزَمْتُ أَعْزِمُ زْمًا."[١] والعَزْمُ: " ما عَقَدَ عليه القلبُ أَنَّكَ فاعلهُ، أو من أمرٍ تيقّنْتَهُ. وما لفلان عزيمة، أي: ما يثْبتُ على أمرٍ يَعْزِم عليه، وما وجدنا له عَزْما، وإن رأيه لذو عزم[٢]. و"عزم على الْأَمر: أَرَادَ فعله وَقطع عَلَيْهِ، أَو جد فِي الأَمر"[٣]. ومعناه في الآية بمعنى المفعول فقوله { إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ) أي من الأمور المقطوعة[٤].

مَرَحًا: في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا﴾ مصدر للفعل مرح ومأخوذ من مادة (م ر ح) والتي تدل على " مَسَرَّةٍ لَا يَكَادُ يَسْتَقِرُّ مَعَهَا طَرَبًا"[٥] فالمَرَحُ: " شدة الفرح، والنشاط. وقد مَرِحَ بالكسر، فهو مَرِحٌ ومريح بالتشديد، مثال سكير. وأمرحه غيره"[٦].

مَشْيك: المشي مصدر للفعل مَشَى مأخوذ من مادة (م ش ي) والتي تدل على أصلين صحيحين " أَحَدُهُمَا يَدُلُّ عَلَى حَرَكَةِ الْإِنْسَانِ وَغَيْرِهِ، وَالْآخَرُ النَّمَاءُ وَالزِّيَادَةُ. وَالْأَوَّلُ مَشَى يَمْشِي مَشْيًا"[٧] – صوت: الصوت مصدر للفعل(صات)

(١) مقاييس اللغة ٣٠٨/٤ (ع ز م) .
(٢) العين ٣٦٣/١ باب العين والزاي والميم معهما، وينظر تهذيب اللغة ٩٠/٢ (باب العين والزاي مع الميم) .
(٣) الكليات صـ ٦٥٠ .
(٤) ينظر: مفاتيح الغيب ١٢٢/٢٥ .
(٥) مقاييس اللغة ٣١٦/٥ (م ر ح) .
(٦) الصحاح ٤٠٤/١ (م ر ح)، وينظر تاج العروس ١١٣/٧ (م رح).
(٧) مقاييس اللغة ٣٢٥/٥ (م ش ي).

و"هُوَ جِنْسٌ لِكُلِّ مَا وَقَرَ فِي أُذُنِ السَّامِعِ"[١] فالصَّوتُ: "الجَرْسُ وَقَدْ صاتَ يَصُوتُ ويَصاتُ صَوتاً والصوتُ صوتُ الإنسان وَغَيْرِهِ"[٢].

دلالة صيغة (اسم الفاعل): في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾.

مُخْتَال: اسم فاعل من اختال " يُقَالُ اخْتَالَ الرَّجُلُ وَبِهِ خُيَلَاءُ وَهُوَ الْكِبْرُ وَالْإِعْجَابُ"[٣] ومعناه: مُتَكبِّرٌ ذُو خُيَلاءَ، مُعْجِبٌ بِنَفسِهِ[٤] صيغة الافتعال فيه للمبالغة في الوصف[٥] والتعبيربصيغة اسم الفاعل فيه دلالة على ثبوت وصف الاختيال في المرء فكأنه صار صفة لازمة فيه، والمعنى أن الله سبحانه وتعالى لايحب من كان وصف الكبر ثابتا فيه.

دلالة صيغة المبالغة: (فخور) في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾.

والفخور: من مادة فخر التي تدل على "عِظَمٍ وَقِدَمٍ"[٦] وفخور: صيغة فعول: ذكر الفارابي في ديوان الأدب أن فعولا لمن دام منه الفعل[٧] وقيل " إنه لمن كثر منه الفعل، وقال أخرون هو لمن كان قويا على الفعل"[٨] والمراد منه في الآيه الإنسان شديد الفخرأوالتفاخر، ويشمل هذا التفاخر في المشى وفي غيره من الأمور

(١) مقاييس اللغة ٣١٨/٣ .
(٢) لسان العرب ٥٧/٢ (ص وت).
(٣) المصباح المنير ١٨٦ (خ ي ل) .
(٤) تاج العروس ٤٥٤/٢٨ (خ ي ل).
(٥) التحرير والتنوير ١٦٧/٢١ .
(٦) مقاييس اللغة ٤٨٠/٤ .
(٧) ديوان الأدب ٨٥/١ .
(٨) معاني الأبنية صـ ١٠٠، وينظر همع الهوامع ٩٧/٢ .

يقول ابن عاشور" والتفاخر لا عن خصوص المشي في حال المرح فيشمل الفخر عليهم بالكلام وغيره"[١] وفي التعبير بصيغة المبالغة في قوله (فخور) تأكيد لمعنى ما يتسم به من لا يحبه الله وهو المتكبر شديد الفخر.

دلالة الجمع والإفراد في قوله تعالى ﴿إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴾ ﴿الحَمِير جمع حمار و"الحِمار العيْرُ الأَهْلِيُّ والوحشيُّ، وجمْعُه الْحَمِيرُ والحُمُراتُ، وَالْعدَد أَحْمِرَةٌ، والأُنْثَى حِمَارَةٌ"[٢] وفي استعمال التعبيرالقرآني لجمع (الحمير) دلالة على أن المراد به الحمار الأهلي، ويدل على ذلك السياق القرآني في استعماله لصيغتي الجمع (حَمِير) و(حُمُر) فعند الحديث عن الحمار الأهلي يعبر بصيغة الجمع (حمير) قال تعالى ﴿ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ﴾ (النحل ٨)، وعند الحديث عن الحمار الوحشي يعبر بصيغة الجمع (حُمُر) قال تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴾ (المدثر ٥٠). ويُلاحظ أن التعبير القرآني جاء بالصوت على جهة الإفراد فقال " «لَصَوتُ» ولم يقل:«لأَصواتُ الحمير»؟ فالجواب: أن لكل جنس صوتاً، فكأنه قال: إن أنكر أصوات الأجناس صوت هذا الجنس"[٣] أو لأنه مصدر والمصدر يدل على الكثرة.

ثالثا الوحدات النحوية (التركيبية) ودلالتها:

دلالة أسلوب النداء: افتتحت الآيات الكريمة بقوله تعالى: ﴿ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾ وهو أسلوب نداء والتعبير فيه بلفظ بني مصغرا بعد آداه

(١) التحرير والتنوير ١٦٧/٢١ .

(٢) تهذيب اللغة ٣٦/٥ (باب الحاء والراء مع الميم)، وفي تاج العروس: والحِمارُ، بالكَسْر: النَّهَّاقُ مِنْ ذَوَاتِ الأَرْبعِ... (ويَكُونُ) أَهْلِيًّا و(وَحْشِيًّا). .. (ج أَحْمِرَةٌ)، وحُمُرٌ، بِضَم فَسُكُون، (وحُمُرٌ)، بضَمَّتَيْن (وحَمِيرٌ)، (وحُمُورٌ)، بالضَّمّ، (وحُمُرَاتٌ)، بضَمَّتَين جَمْع الجَمْع". تاج العروس ٧٧/١١ .

(٣) زاد المسير ٤٣٣/٣ .

النداء فيه قوة جذب وتنبيه واستمالة للمخاطب؛ إذ هو خطاب تحبيب على حد تعبير الزركشي[١] وقوله (يابُني) جاء مكرراً للمناداة على هذا الوجه تنبيهاً على فرط النصيحة لفرط الشفقة[٢].

ثم تلا أسلوب النداء مجموعة من الأوامر ولاشك في أن تنويع الخطاب بين نداء وأمر ونهي له أثر في نفوس المتلقين لهذا الخطاب؛ " فالنداء يوقظ النفس ويلفت الذهن؛ لأنه طلب ودعاء، فإذا جاء الأمر صادف نفسا مهيأة يقظة فيقع منها موقع الإصابة حيث تتلقاه بحس واع، وذهن منتبه، وهذا دليل على عناية الآمر بأمره ورغبته في إعداد النفوس لتلقيه...، وأن النداء يصحب الأمر غالبا، وكأنه إعداد النفس لها"[٣].

- دلالة أسلوب الأمر: ورد في الآيات الكريمة مجموعة من الجمل الأمرية وتوضيح دلالتها فيما يلي:

- في قوله تعالى ﴿ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ ﴾.

- قوله ﴿ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ أمره ووصاه بأن يأتي بأعظم الطاعات وهي الصلاة أي "أدهاكاملة على النحو المرضى، لما فيها من رضا الرب بالإقبال عليه والإخبات له، ولما فيها من النهى عن الفحشاء والمنكر، وإذا تم ذلك صفت النفس وأنابت إلى بارئها فى السراء والضراء"[٤].

قوله تعالى: ﴿ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ ﴾ المعروف: "ضدّ المنكر "[٥] ويقال "أَمَرْتُ بِالْعُرْفِ أَيْ بِالْمَعْرُوفِ وَهُوَ الْخَيْرُ وَالرِّفْقُ وَالْإِحْسَانُ وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ مَنْ

(١) البرهان في علوم القرآن ٢/٢٥٠ .
(٢) نظم الدرر ١٥/١٧٣ .
(٣) دلالات التراكيب صـ٢٦٢.
(٤) تفسير المراغي ٢١/٨٤ وينظر: نظم الدرر ١٥/١٧٣ .
(٥) الصحاح (ع ر ف) .

كَانَ آمِرًا بِالْمَعْرُوفِ فَلْيَأْمُربِالْمَعْرُوفِ أَيْ مَنْ أَمَرَ بِالْخَيْرِ فَلْيَأْمُرْ بِرِفْقٍ وَقَدْرٍ يُحْتَاجُ إِلَيْهِ"[١]. وعلى ذلك فالمعروف اسم عام يُطلق على " كل ما يحسن في الشرع"[٢] والمُنْكَر: ضدّ المَعروف، وكلّ مَا قَبَّحه الشَّرعُ وحرَّمه وكَرِهَه فَهُوَ مُنكَر"[٣] ويُلاحظ فيما سبق التعبير بالألفاظ المتقابلة (أْمُرْ – انْهَ)، (الْمَعْرُوفِ – الْمُنْكَرِ) وفي ذلك توضيح المعنى وتأكيد له.

وفي أمره بالمعروف ونهيه غيره عن المنكر دلالة اجتماعية وهي أنه على المسلم أن يفعل ذلك حبا لأخيه المسلم ولله در البقاعي إذ يقول " فقال: {وانه} أي كل من قدرت على نهيه {عن المنكر} حباً لأخيك ما تحب لنفسك، تحقيقاً لنصيحتك، وتكميلاً لعبادتك، لأنه ما عبد الله أحد ترك غيره يتعبد لغيره، ومن هذا الطراز قول أبي الأسود رحمه الله تعالى:

ابدأ بنفسك فانهها عن غيّها... فإذا انتهت عنه فأنت حكيم

لأنه أمره أولاً بالمعروف، وهو الصلاة الناهية عن الفحشاء والمنكر، فإذا أمر نفسه ونهاها، ناسب أن يأمر غيره ينهاه، وهذا وإن كان من قول لقمان عليه السلام إلا أنه لما كان في سياق المدح له كنا مخاطبين به"[٤].

وفي قوله تعالى: ﴿ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ ﴾ أمره بأن يصبر على ما يصيبه من الناس إذا أمرهم بالمعروف أونهاهم عن المنكر و" يجوز أن يكون عاما في كل ما يصيبه من المحن، وأن يكون خاصا بما يصيبه فيما أمر به من الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر: من أذى من يبعثهم على الخير وينكر عليهم الشر"[٥].

---

(١) المصباح المنير ٤٠٢/٢ (ع ر ف) .

(٢) التعريفات صـ ٢٢١ .

(٣) تاج العروس ٢٩٠/١٤ (ن ك ر) وينظر المصباح المنير ٦٢٥/٢ (ن ك ر)، والمفردات صـ ٣٧.

(٤) نظم الدرر ١٧٥/١٥.

(٥) الكشاف ٤٦٩/٣، وينظر: جامع البيان ١٤٢/٢٠، وبحر العلوم ٢٥/٣

دلالة أسلوب الأمر في قوله تعالى: ﴿ وَٱقۡصِدۡ فِي مَشۡيِكَ وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ ﴾: في قوله تعالى: ﴿ وَٱقۡصِدۡ فِي مَشۡيِكَ ﴾: أمر له بالتوسط في مشيه "والقصد: ما بين الإسراع والبطء. يقال قصد فلان في مشيته إذا مشى مستويا لا يدب دبيب المتماوتين، ولا يثب وثوب الشياطين... وقال مقاتل: معناه لا تختل في مشيتك. وقال عطاء: امش بالوقار والسكينة. كقوله: يمشون على الأرض هونا "[1] .

و"قرىء «وأقصد» بقطع الهمزة ونسبها ابن خالويه[2] للحجازي من أقصد الرامي إذا سدد سهمه نحو الرمية ووجهه إليها ليصيبها أي سدد في مشيك والمراد أمش مشيا حسنا، وكأنه أريد التوسط به بين المشيين السريع والبطيء فتتوافق القراءتان"[3].

وفي قوله تعالى ﴿وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ ﴾ أمره بخفض صوته و" غض الصوت: جعله دون الجهر. وجيء بمن الدالة على التبعيض لإفادة أنه يغض بعضه، أي بعض جهره، أي ينقص من جهورته ولكنه لا يبلغ به إلى التخافت والسرار" [4]و" الحكمة في غض الصوت المأمور به أنه أوفر للمتكلم وأبسط لنفس السامع وفهمه"[5] وقيل في قوله "{وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ} رد سبحانه به على المشركين الذين كانوا يتفاخرون بجهارة الصوت ورفعه مع أن ذلك يؤذي السامع ويقرع الصماخ بقوة وربما يخرق الغشاء الذي هو داخل الأذن، وبيَّن عزّ وجلّ أن مثلهم

(١) فتح القدير ٢٦٧/٤ .
(٢) ينظر: مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع لابن خالويه صـ ١١٨ .
(٣) روح المعاني ٩٠/١١.
(٤) التحرير والتنوير ١٦٨/٢١ .
(٥) روح المعاني ٩٠/١١ .

في رفع أصواتهم مثل الحمير وأن مثل أصواتهم التي يرفعونها مثل نهاقها في الشدة مع القبح الموحش"[١].

- دلالة أسلوب النهي في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ ﴾

في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ ﴾ نهي عن التكبر على الناس واحتقارهم، والصَّعَرُمعناه في اللغة الميل وهو مأخوذ من الصعر وهو داء يصيب البعير فيلوي عنقه يقول ابن فارس " الصَّادُ وَالْعَيْنُ وَالرَّاءُ أَصْلٌ مُطَّرِدٌ يَدُلُّ عَلَى مَيَلٍ فِي الشَّيْءِ. مِنْ ذَلِكَ الصَّعَرُ، وَهُوَ الْمَيَلُ فِي الْعُنُقِ. وَالتَّصْعِيرُ: إِمَالَةُ الْخَدِّ عَنِ النَّظَرِ عُجْبًا. وَرُبَّمَا كَانَ الْإِنْسَانُ وَالظَّلِيمُ أَصْعَرَ خِلْقَةً. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ ﴾ [لقمان: ١٨] وَهُوَ مِنَ الصَّيْعَرِيَّةِ، وَهُوَ اعْتِرَاضُ الْبَعِيرِ فِي سَيْرِهِ. وَالصَّيْعَرِيَّةُ: سِمَةٌ مِنْ سِمَاتِ النُّوقِ فِي أَعْنَاقِهَا، وَلَعَا فِيهَا اعْتِرَاضًا"[٢] وفي التهذيب " الصَّعَر: مَيل فِي العُنق وانقلاب فِي الْوَجْه إِلَى أحد الشِّقَّين، والتصعير: إمالة الخَدّ عَن النّظر إِلَى النَّاس تهاوُناً وكِبْراً، كَأَنَّهُ مُعْرض"[٣] فقوله لا تصعرخدك للناس أي لا تعرض وجهك عنهم تكبرا عليهم.

واختلفت القرّاء في قراءة قوله: (وَلا تُصَعِّرْ) فقرأه بعض قرّاء الكوفة والمدنيين والكوفيين: (وَلا تُصَعِّرْ) على مثال (تُفَعِّل). و"قرأ ذلك بعض المكيين وعامة قرّاء المدينة والكوفة والبصرة (وَلا تُصَاعِرْ) على مثال (تُفَاعِل) "[٤] قال

(١) روح المعاني ٩١/١١.

(٢) مقاييس اللغة ٢٨٨/٣ .

(٣) تهذيب اللغة ٨/٢ .

(٤) جامع البيان ١٤٣/٢٠، وقال ابن الجزري: واختلفوا في {وَلا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ}، فقرأ ابن كثير وأبو جعفر وابن عامر وعاصم ويعقوب بتشديد العين من غير ألف، وقرأ الباقون بتخفيفها وألف قبلها. النشر في القراءات العشر ٣٤٦/٢ .

الفراء: هما لغتان، ومعناهما الإعراض من الكِبْر.وقال الزجاج: معناه: لا تُعْرِض عن الناس تكبُّراً. وقال أبو العالية: ليكن الغنيُّ والفقير عندك في العلم سواء(١) فصاعر وصعر، إذا أمال عنقه إلى جانب ليعرض عن جانب آخر، وهو مشتق من الصعر بالتحريك لداء يصيب البعير فيلوي منه عنقه فكأنه صيغ له صيغة تكلف بمعنى تكلف إظهار الصعر وهو تمثيل للاحتقار لأن مصاعرة الخد هيئة المحتقر المستخف في غالب الأحوال.. .والمعنى: لا تحتقر الناس فالنهي عن الإعراض عنهم احتقارا لهم لا عن خصوص مصاعرة الخد فيشمل الاحتقار بالقول والشتم وغير ذلك " (٢)وعلى ذلك فصَعَّر خده وصَاعَره معناه أمال وجهه وأعرض عمن يتحدث معه تكبرا واحتقارا له.

- دلالة اللام[٣] في قوله تعالى:﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ ﴾، اللام في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ ﴾ جاءت لمعنى التعليل أي لاتمل وجهك عن الناس لقصد الإعراض عنهم متكبرا عليهم، قال ابن عباس: " لا تتكبّر فتحقر الناس وتعرض عنهم بوجهك إذا كلّموك. مجاهد: هو الرجل يكون بينه وبينك إحنة فتلقاه فيعرض عنك بوجهه. عكرمة: هو الذي إذا سلّم عليه لوى عنقه تكبّرا. الربيع وقتادة: لا تحقّر الفقراء، ليكن الفقير والغني عندك سواء."(٤) يقول الرازي: "ولما كان ذلك قد يكون لغرض من الأغراض التي لا تذم، أشار إلى المقصود بقوله تعالى: {للناس}

---

(١) ينظر: زاد المسير ٤٣٢/٣ .

(٢) التحرير والتنوير ١٦٦/٢١ .

(٣) دلالة اللام في اللغة: اللام حرف كثير المعاني والأقسام تكون عاملة، وغير عاملة، والعاملة قسمان: جارة وجازمة. وزاد الكوفيون قسما ثالثا، وهي الناصبة للفعل ينظر الجنى الداني ٩٥/١، ورصف المباني في شرح حروف المعاني صـ٢١٨ –٢٥٠ .

(٤) الكشف والبيان للثعلبي ٣١٤/٧.

بلام العلة، أي لا تفعل ذلك لأجل الإمالة عنهم، وذلك لا يكون إلا تهاوناً بهم من الكبر، بل أقبل عليهم بوجهك كله مستبشراً منبسطاً من غير كبر ولا علو" [١].

وفي قوله تعالى ﴿ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ ﴾ نهي عن التكبر في الأرض والعجب والخيلاء[٢] – دلالة الجملة الإسمية المؤكدة بإن: وردت في الآيات الكريمة ثلاث جمل إسمية مؤكدة بإن وهي: قوله تعالى ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴾، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٍ ﴾ وقوله تعالى ﴿إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ ﴾ والجملة الإسمية إذا دخلت عليها إن أفادت ربط هذه الجملة بما قبلها، وتآلفها معها، يقول الإمام عبد القاهر الجرجاني مبينا السر في دخول إن " أنك تري الجملة إذا هي دخلت ترتبط بما قبلها، وتأتلف معه وتتحد به، حتى كأن الكلامين قد أفرغا إفراغا واحدا، وكأن أحدهما قد سبك في الآخر " ثم وضح الإمام ماذا يحدث لو حذفت (إن)فقال" حتى إذا جئت إلى (إن) فأسقطها، رأيت الثاني منهما قد نبا عن الأول، وتجافى معناه، ورأيته لا يتصل به ولا يكون منه بسبيل"[٣] و"تتأتى دلالة إن وأن على التوكيد إذ تعنيان حينئذ تقرير الشيء أي إثباته وغرسه كما لو غرس في جوف ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ (آل عمران ١٨)، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ ﴾ (الأحزاب ٥٦)"[٤].

في قوله تعالى ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴾ : فيه تأكيد على وجوب إقامة الصلاة، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والصبر على ما يلقاه الإنسان من الأذي في سبيل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ فجميع ماسبق من الطاعات من

(١) مفاتيح الغيب ١٧٦/١٥ .

(٢) سبق الحديث عنه في البحث.

(٣) دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني صـ ٣١٦ .

(٤) المعجم الاشتقاقي المؤصل ٢١٣٧/٤ .

عزم الأمورأي من الأمور الواجبة، كما أن فيه غرسا لعمل الطاعات في نفوس الأبناء.

وقوله تعالى: ﴿ وَلَا إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٖ ﴾ : فيه تأكيد على عدم محبته تعالى للإنسان المتكبر شديد الفخر بنفسه، وحث على التواضع واللين والرفق وغرسه في نفوس الأبناء.

في قوله تعالى ﴿ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ ﴾: اجتمع في الآية الكريمة مؤكدان وهما (إنَّ) و(اللام) وذلك "للتأكيد على معنى أن أقبح الأصوات هو صوت الحمير، ووحد الصوت وإن كان مضافا إلى الجماعة لأنه مصدر والمصدر يدل على الكثرة" (١) وفي ذلك تنفير من علو الصوت لما فيه من التشبه بأقبح الأصوات، فالقرآن الكريم يوجه الفرد المسلم في المجتمع الإسلامي – من خلال وصايا لقمان الحكيم لابنه– لما يجب أن يكون عليه من السمت الحسن وذلك من خلال التحلي بصفة التواضع وعدم التكبر على الخلق والإعراض عنهم بوجهه، وكذلك عليه خفض صوته لئلا يتشبه بأقبح الأصوات. وفي قوله تعالى «إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْواتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ» "استعارة تصريحية حيث أخلي الكلام من لفظ التشبيه، وأخرج مخرج الاستعارة، فجعلوا حميرا، وجعل صوتهم نهاقا، مبالغة في الذم والتهجين وإفراطا في النهي عن رفع الصوت والحمار مثل في الذم البليغ والشتيمة الموجعة، وكذلك نهاقه"(٢).

دلالة التقديم والتأخير في الآيات: في الآيات السابقة والتى هي من بعض ما وصى به لقمان الحكيم ابنه وضح الرازي سبب تقديم بعض التراكيب على بعض إذ يقول: "وفي الآية لطيفة وهو أن الله تعالى قدم الكمال على التكميل حيث

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٧٢/١٤ .

(٢) الجدول في الإعراب ٨٦/٢١ .

قال أقم الصلاة ثم قال: وأمر بالمعروف وفي النهي قدم ما يورثه التكميل على ما يورثه الكمال حيث قال: ولا تصعر خدك ثم قال: ولا تمش في الأرض مرحا لأن في طرف الإثبات من لا يكون كاملا لا يمكن أن يصير مكملا فقدم الكمال، وفي طرف النفي من يكون متكبرا على غيره متبخترا لأنه لا يتكبر على الغير إلا عند اعتقاده أنه أكبر منه من وجه، وأما من يكون متبخترا في نفسه لا يتكبر، ويتوهم أنه يتواضع للناس فقدم نفي التكبر ثم نفي التبختر، لأنه لو قد نفى التبختر للزم منه نفي التكبر فلا يحتاج إلى النهي عنه"[١].

تعقيب: تكاتفت الوحدات الصوتية والصرفية والتركيبية في الآيات الكريمة في بث العديد من الدلالات الاجتماعية في نفوس الأبناء، وهي آداب علمها لقمان الحكيم لابنه في معاملة الناس، وهي خطاب لكل من جاء بعده في المجتمع وهي:

- حث الأبناء على وجوب إقامة الصلاة وتأديتها على الوجه الذي يرضي الله سبحانه وتعالى؛ إذ هي اقبال المرء على مولاه وخالقه والمُنعِم عليه.
- وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وفي ذلك دلالة واضحة عل حب الإنسان لأخيه الإنسان مهما كلفه ذلك من مشاق ومتاعب؛ ولذلك ورد الأمر بالصبر على ما يُصيب المرء من أثر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أو الصبر على ما يلقاه من محن في الحياة.
- غرس خلق التواضع في نفوس الأبناء، ونهيهم عن التكبر والاستكبار في الأرض والاختيال في المشي، وحثهم على القصد في المشي (التوسط والاعتدل)، وفي ذلك دلالة على اظهار المساوة بين هؤلاء الأبناء والناس في المجتمع، ودعوة إلى الألفة والمودة والتلاحم المجتمعي. –وجوب خفض الصوت، والتنفير من رفع الصوت لما فيه من التشبه بأقبح الأصوات.

(١) مفاتيح الغيب ١٢٣/٢٥

الخاتمـــــــة

وبعد هذة المعايشة الطيبة لآيات من الآيات الدالة على التواضع في القرآن الكريم ودراستها وتحليلها في ضوء علم اللغة الاجتماعي أسفر البحث عن النتائج الآتية:

١- بيَّن البحث أقسام التواضع وهي التواضع المحمود والتواضع المذموم، وأن التواضع الذي حث عليه الدين الإسلامي هو التواضع المحمود والذي يترتب عليه التلاحم المجتمعي والألفة والمودة بين أفراد المجتمع، وهو خلق كريم من أخلاق عباد الله المؤمنين.- كما وضح البحث الفرق بين التواضع والتذلل، والتواضع والمهانة.

٢- أظهر البحث كيف عالجت لغة القرآن الكريم سلوك الأفراد في المجتمع؛ إذ حملت في ثناياها الكثير من التوجيهات الربانية الإيمانية التي وجهت للمسلمين في المجتمع الذي يعيشون فيه.

٣- الخطاب القرآني جاء عاما لكل المجتمعات البشرية، وهو خطاب مؤثر في العقول، يمس شغاف القلوب، يبين لها العقيدة الصحيحة، والأخلاق الحسنة ومنها خلق التواضع.

٤- انبثقت من الآيات الدالة على التواضع الكثير من الدلالات الاجتماعية التي بينها البحث ومنها: النبي- صلى الله عليه وسلم - القدوة والمثل الأعلى للبشر جميعا في تواضعه للمؤمنين، - الأقربون أولى بالدعوة إلى معالي الأخلاق، حث النشء الصغير على حفظ القرآن الكريم، بيان مايجب على الدعاة من التحلى به من مكارم الأخلاق، عِظم الإحسان إلى الوالدين والتواضع لهما واللين والرفق معهما قولا وفعلا، غرس خلق التواضع في نفوس الأبناء وغير ذلك من دلالات اجتماعية وردت في ثنايا البحث.

٥- بيَّن البحث دلالة الوحدات الصوتية وإيحاءتها وما لها من ارتباط مع الهدف الاجتماعي لآيات البحث ومن ذلك: - شيوع الأصوات الانفتاحية والمستفلة والتى تتناسب مع خلق التواضع، ومن ذلك شيوع الأصوات المجهورة والتي جاءت معلنة ومبرزة الأهداف الاجتماعية لآيات البحث - ومنها بيان دلالة الفاصلة في آيات البحث ومالها من دلالات ننفسية واجتماعية تؤثر في المتلقين كما في (للمؤمنين - سلاما- (إحسانا) (كريما) (صغيرا)(الأمور- فخور - الحمير) وغيرها مما جاء في ثنايا البحث.

- ومنها بيان علة إيثار التعبير القرآني لألفاظ دون ماعداها من المتردفات؛ وذلك لما لأصواتها من دلالات إيحائية تتواءم مع الدلالات الاجتماعية المنبثقة من الآيات مجال الدراسة ومن ذلك: (عشيرة - يرتدد - هونا - سلاما - أف.. وغير ذلك مماعُرِض في ثنايا البحث.

٦- وضح البحث أن للصيغة إضاءات تُلقي بظلالها على المعنى فتؤثرعلى المجتمع وأفراده وتحثهم على محاسن الأخلاق ومنها التواضع للناس وللوالدين ومن ذلك:

- المصدر والذي شاع في كثير من الآيات القرآنية مجال الدراسة وبرزت دلالته في تأكيد وتقوية المعنى في نفوس المتلقين ومن ذلك (هونا - فضل - طولا - علوا - فساد - مرحا - إحسانا - الكبر- قولا - الذل - الرحمة - عزم - الصلاة).

- الصيغ الفعلية (دلالة الزمن الصرفي): وضح البحث دلالة الصيغ الفعلية وأثرها على الدلالات الاجتماعية في الآيات مجال الدراسة ومن ذلك صيغة الفعل المضارع (يحبهم ويحبونه - يجاهدون - لا يخافون - يمشون- لا يريدون)، والفعل الماضي مثل (قضى) .

- دلالة الجموع: بيَّن البحث دلالة الجموع الواردة في الآيات مجال الدراسة ومن ذلك (مَثاني - أزواج - المُؤمنين - المُعذبِين - الأَقْربِين - (أعِزة، وأذِلة) (عِباد، عَبيد) (حَمير، حُمر) كما بين البحث دلالة المثنى وسر التعبير به في: (عَينَيك)

- بيَّن البحث دلالة النكرة وما لها من إيحاءت نفسية واجتماعية: (لومة لائم) (سلاما) (فساد -علو) وغيرها مما ورد في ثنايا البحث.

- دلالة صيغ المبالغة: (عَلِيم - كَريما - صَغِيرا - أوَّاب - غَفُور - فَخُور) والتي برزت دلالاتها النفسية والاجتماعية في آيات الدالة على التواضع بما تحمله من دلالة تكثير المعنى وإفادة الدوام والمبالغة فيه.

٧- بيَّن البحث دلالة الوحدات التركيبة، والتي ثبت من خلال البحث تنوع هذه الوحدات في الآيات الدالة على التواضع ما بين وحدات تركيبية إنشائية، ووحدات تركيبية خبرية، وقد كان لجميعها دلالات نفسية واجتماعية تؤثر على المتلقي وتحثه على التواضع وغيره من الأهداف الاجتماعية التي انبثقت من آيات البحث ووضحها الباحث في ثنايا البحث.

- كما وضح من خلال البحث أن أكثر الأساليب ورودا هو أسلوب الأمر وهو ماينبىء عن عِظم خلق التواضع وأثر التحلي به على الفرد وعلى المجتمع من شيوع الألفة والمحبة والمساوة بين البشر، وما يترتب على ذلك من تلاحم مجتمعي بين أبناء المجتمع، وتباعد عن الكره والحقد والبغيضة وغير ذلك من سيء الخلق المترتب على الاستكبار بين البشر.

- بيَّن البحث دلالة أسلوب الشرط وما به من دلالة الترغيب والترهيب وهو أسلوب من الأساليب التربوية ذات الأثرالواضح على الفرد: ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾ ، ﴿ إِمَّا يَبۡلُغَنَّ عِندَكَ

ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴾ ، ﴿ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِى نُفُوسِكُمْ ۚ إِن تَكُونُوا۟ صَٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا ﴾.

- بيّن البحث دلالة أسلوب النداء وأثره في تنبيه وإيقاظ المخاطب وحثه على الامتثال لما يطلب منه، كما بيَّن البحث لفتة طيبة وهي مراعاة نداء المرء بما يحب أن يسمعه من صفة تؤثر فيه ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ حيث ورد النداء بصفة الإيمان وفي ذلك استمالة للقلوب فتستجيب وتلبي ما في هذا النداء الرباني العظيم.
- تنوع الأساليب التركبية في السياق الواحد له دلالة وأثر على النفس البشرية وهو ما ظهر واضحا جليا من خلال ما بثَّه البحث من دلالات الأساليب في الآيات التي تدل على غرس خلق التواضع في نفوس الأبناء.
- وضح البحث دلالة الوحدات التركيبية الخبريةومنها الجملة الإسمية المؤكدة بإن وغيرها وما لها من مزيد التأكيد على المعنى الاجتماعي المقصود في الآيات وبثه في نفوس أفراد المجتمع.
- وضح البحث أهمية خطاب التحبيب وقوة تأثيره في المخاطَب أوالمتلقي وهو ما التمسه البحث من خطاب لقمان لابنه وحثه على التواضع مع الناس؛ حيث بدأ خطابه بقوله (يابني) مكررا له مرة أخرى وفي ذلك استمالة واستقطاب لابنه فيستجب لما يلقي عليه، وفي ذلك أيضا دلالة على حبه الشديد لابنه وحرصه وشفقته المفرطةعليه وهو ماظهر من خلال خطاب التحبيب.
- للمجاز أثرٌ فاعل في بيان المعنى الاجتماعي: ومن ذلك ماورد في قوله تعالى: ﴿ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ ﴾ ، ﴿ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ ،

﴿ وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ ، ﴿ وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ ﴾ ، ﴿إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ ﴾.

- وضح البحث دلالة الحروف والأدوات التي لها أثر في بيان الدلالات الاجتماعية، وعلة إيثار استعمالها في التراكيب مجال البحث وذلك من خلال التراكيب التي وردت فيها، ومن ذلك: على، في، لن، واللام، الواو وغيرها مما ورد في ثنايا البحث.

٨- بيَّن البحث أهمية اللغة غير اللفظية –الحركات الإشارية أوالجسمية – وما لها من دور فاعل في إيصال المعنى الإجتماعي (التواضع ولين الجانب): ومن ذلك بيان هيئة مشى عباد الرحمن– وهو المشي الهوينى – في قوله تعالى ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا ﴾ - ومنها بيان المشي المنهي عنه وهو مشي التبختر والمرح هو ماجاء في وصايا لقمان لابنه في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ ﴾ – والإعراض عن الخَلق: ﴿ وَلَا تُصَعِّرۡ خَدَّكَ لِلنَّاسِ ﴾ ، كما بيَّن البحث دلالة اسم الإشارة في التراكيب التي ورد فيها (تلك – ذلك).

٩- وضح البحث أن السياق الخارجي (الاجتماعي) له عظيم الأثر في بيان الدلالة الاجتماعية المنشودة من الآيات محل الدراسة.

١٠- كشف البحث عن الفروق الدلالية بين الإيتاء والإعطاء، الذُل والذِل، الإيمان والإسلام وغيرها مما ورد في ثنايا البحث.

ثبت المصادر والمراجع

- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود العمادي محمد بن محمدبن مصطفى (ت٩٨٢هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

. أساليب النداء في القرآن الكريم د عبد القادر محمد المعتصم دهمان، دار اللؤلؤة – مصر – ط١ ١٤٤١هـ- ٢٠٢٠م .

-أسباب النزول للواحدي النيسابوري – دراسة وتحقيق د /السيد الجميلي – دار الريان للتراث .

- أصوات اللغة العربية دراسة نظرية تطبيقية د. محمد حسن جبل، الطبعة الثالثة ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م.

إعراب القرآن وبيانه، لمحيي الدين بن أحمد مصطفى درويش (ت ١٤٠٣هـ)، دار الإرشاد للشئون الجامعية – حمص – سورية، (دار اليمامة – دمشق – بيروت)، (دار ابن كثير – دمشق – بيروت)، الطبعة الرابعة، ١٤١٥ هـ.

أنوار التنزيل وأسرار التأويل، لناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمدالشيرازي البيضاوي (ت ٦٨٥هـ)، تحقيق: محمد عبدالرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الأولى – ١٤١٨هـ.

- بحر العلوم، لأبي الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (ت ٣٧٣هـ).تحقيق د/محمود مطرحي – دار الفكر بيروت.

- البرهان في علوم القرآن لأبي عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (ت ٧٩٤هـ) تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم الطبعة الأولى، ١٣٧٦هـ – ١٩٥٧ م- دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركاه.

- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (ت ٨١٧هـ) تحقيق محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة .
- تاج العروس تاج العروس من جواهر القاموس لمحمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (ت١٢٠٥هـ) تحقيق: مجموعة من المحققين– دار الهداية.
- التبيان في إعراب القرآن: أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري (ت: ٦١٦هـ).

تحقيق: علي محمد البجاوي الناشر: عيسى البابي الحلبي وشركاه.

- التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، لمحمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت ١٣٩٣هـ) – الدار التونسية للنشر – تونس ١٩٨٤ م.
- التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة د محمود عكاشة، دار النشر للجامعات القاهرة الطبعة الثانية ٢٠١١م .
- تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد لابن مالك محمد بن عبد الله، ابن مالك الطائي الجياني (ت ٦٧٢هـ) تحقيق محمد كامل بركات – دار الكتاب العربي للطباعة والنشر١٣٨٧هـ – ١٩٦٧م
- التطبيق الصرفي، د عبده الراجحي، دار النهضة العربية، بيروت.
- التفكير اللغوي بين القديم والجديد د كمال بشر، مكتبة الشباب.
- التَّفْسِيرُ البَسِيْط، لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (ت ٤٦٨هـ)، تحقيق: أصل تحقيقه في (١٥) رسالة

دكتوراة بجامعة الإمام محمد بن سعود، ثم قامت لجنة علمية من الجامعة بسبكه وتنسيقه، عمادة البحث العلمي – جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة الأولى، ١٤٣٠ هـ.

- تفسير الشعراوي – الخواطر، محمد متولي الشعراوي – مطابع أخبار اليوم – ١٩٩٧ م .
- التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم يونس الخطيب (ت بعد ١٣٩٠هـ)، دار الفكر العربي – القاهرة .
- التفسير الكبير ومفاتيح الغيب لمحمدالرازي (ت ٦٠٤هـ)– دار الفكر – بيروت لبنان ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.
- تفسير المراغي لأحمد بن مصطفى المراغي (ت ١٣٧١هـ)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة الأولى، ١٣٦٥ هـ – ١٩٤٦ م.
- تفسير النسفي(مدارك التنزيل وحقائق التأويل) لعبد الله بن أحمد بن محمود النسفي –دار إحياء الكتب العربية –فيصل عيسى البابي الحلبي.
- التفكير اللغوي اللغوي بين القديم والجديد، د. كمال بشر، دار غريب، ٢٠٠٥م
- تهذيب اللغة لمحمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (ت ٣٧٠هـ) تحقيق: محمد عوض مرعب– دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الأولى ٢٠٠١م.
- التوقيف على مهمات التعاريف، عبد الرؤوف المناوي القاهري، عالم الكتب عبد الخالق ثروت–القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ–١٩٩٠م.
- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن معلا اللويحق، تحقبق عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ –٢٠٠٠ م.

- جامع البيان في تأويل القرآن، لمحمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (ت ٣١٠هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر – مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م.

- الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤ م.

- الجامع الكبير (سنن الترمذي) محمد بن عيسى سورة بن موسى الضحاك الترمذي (ت ٢٧٩ هـ) – تحقيق: بشار عواد معروف –دار الغرب الإسلامي –بيروت ١٩٩٨م.

- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم صحيح البخاري لمحمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري –تحقيق: محمد زهير بن ناصر – دار طوق النجاة –الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ .

- الجدول في إعراب القرآن الكريم، محمود بن عبد الرحيم صافي (ت ١٣٧٦هـ)، دار الرشيد، دمشق – مؤسسة الإيمان، بيروت، الطبعة: الرابعة، ١٤١٨ هـ.

- جمع الجوامع أو الجامع الكبير للسيوطي(ت ٩١١ هـ) تحقيق مختار إبراهيم – عبد الحميد محمد ندا – حسن عيسى عبد الظاهر – الأزهر الشريف القاهرة – الطبعة الثانية، (١٤٢٦هـ– ٢٠٠٥م) .

- جمهرة اللغة لابن دريد تحقيق رمزي منير بعلبكي –دار العلم للملايين –بيروت –الطبعة الأولى ١٩٨٧م .

- الجنى الداني في حروف المعاني لأبي محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن علي المرادي المصري المالكي (ت٧٤٩)، تحقيق د. فخرالدين قباوة والأستاذ محمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان ط١، ١٤١٣هـ
- الجواهر الحسان في تفسير القرآن، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي (ت ٨٧٥هـ) المحقق: الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٨هـ.
- الحجة في القراءات السبع، ابن خالويه (ت ٣٧٠ هـ)، تحقيق أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ط ١ (١٤٢٠ هـ- ١٩٩٩م).
- الخصائص لأبي الفتح عثمان بن جني الموصلي، الهيئة المصرية العامة للكتاب الطبعة: الرابعة.
- ينظر: خصائص التراكيب دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني د/ محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، ط ٤ ١٤١٦هـ- ١٩٩٦ م .
-الدر المنثور عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ) دار الفكر –بيروت.
- دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني، تحقيق محمود محمد شاكر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مهرجان القراءة للجميع ٢٠٠٠م.
- ديوان عبيد بن الأبرص، شرح: أشرف أحمد عدوة، دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى ١١٤١٤ هـ- ١٩٩٤م.
- رسالة أسباب حدوث الحروف لابن سينا، تحقيق محمد حسان الطليان، ويحيى مير علم، تقديم ومراجعة د. شاكر الفحام، أحمد راتب النفاخ، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ١٤٠٣ هـ ١٩٨٢ م.

- رصف المباني في شرح حروف المعاني لأحمد بن عبد النور المالقي (ت ٧٠٢هـ) تحقيق أحمد محمد الخراط، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق.
- الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة –أبو محمد مكى بن أبى طالب القيسى – دار الصحابة للتراث والنشر بطنطا (١٤٢٢هـ– ٢٠٠٢ م).
- الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية – بيروت.
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لشهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (ت ١٢٧٠هـ)، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعةالأولى، ١٤١٥ هـ.
- زاد المسير في علم التفسير: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت ٥٩٧هـ) – تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي – بيروت – الطبعة الأولى – ١٤٢٢ هـ.
- زهرة التفاسير، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (ت ١٣٩٤هـ)، دار النشر: دار الفكر العربي.
- سنن ابن ماجه – أبو عبد الله محمد بن يزيدالقزويني(ت٢٧٢هـ) تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي–دار إحياء الكتب العربية –فيصل عيسى البابي الحلبي.
- السنن الكبرى –أحمد بن الحسين بن علي أبو بكر البيهقي ت ٤٥٨هـ –تحقيق محمد عبد القادر عطا –دار الكتب العلمية –بيروت لبنان –الطبعة الثالثة ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٢ م.

- شرح ابن القيم لأسماء الله الحسنى د. عمر سليمان الأشقر، دار النفائس، الطبعة الأولى ١٤٢٨ -٢٠٠٨ م .

- شرح شافية ابن الحاجب مع شرح شواهده للعالم الجليل عبد القادر البغدادي (ت ١٠٩٣هـ) محمد بن الحسن الرضي الإستراباذي، نجم الدين (ت ٦٨٦هـ)، تحقيق: محمد نور الحسن ومحمد الزفزاف – محمد محيى الدين عبد الحميد – دار الكتب العلمية بيروت – لبنان عام النشر: ١٣٩٥ هـ – ١٩٧٥ م.

- شرح المفصل للزمخشري، ليعيش بن علي بن يعيش ابن أبي السرايا محمد بن علي، أبو البقاء، موفق الدين الأسدي الموصلي، المعروف بابن يعيش وبابن الصانع (ت ٦٤٣هـ) قدم له: الدكتور إميل بديع يعقوب – دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان – الطبعة الأولى، ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١ م .

- شعب الإيمان لأحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (ت ٤٥٨هـ)، تحقيق: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، الطبعة الأولى، ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٣ م.

- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري الفارابي (ت: ٣٩٣هـ) تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة الرابعة ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م.

- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي (ت ٣٥٤هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤١٤هـ – ١٩٩٣م.

-علم الصوتيات -د/عبد العزيز أحمد علام، د/ عبد الله ربيع محمود -مكتبة الرشد (١٤٢٤ هـ-٢٠٠٤م).

- علم اللغة الاجتماعي، د محمد حسن عبد العزيز، مكتبة الآداب، الطبعة الأولى، ٢٠٠٩ م.
- علم اللغة الاجتماعي، صبري إبراهيم السيد صـ ٦٨، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية ١٩٩٥ م .
- علم اللغة الاجتماعي د. هدسون ترجمة: د محمود عيَّاد صـ ١٢ عالم الكتب، الطبعة الثانية ١٩٩٠م .
- علم اللغة الاجتماعي المدخل د .كمال بشر، دار غريب، سنة ١٩٩٣ م(د .ط) .
- عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ لأبي العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (ت٧٥٦هـ) تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م .
- العين، الخليل بن أحمد - تحقيق د مهدى المخزومي، د إبراهيم السامرائي -دار مكتبة الهلال .
- فتحُ البيان في مقاصد القرآن، أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي (ت ١٣٠٧هـ)، عني بطبعهِ وقدّم له وراجعه: خادم العلم عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري، المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، صَيدَا - بَيروت، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م.
- فتح القدير، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ت ١٢٥٠هـ)، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٤هـ.
- الفروق اللغوية، لأبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (ت ٣٩٥هـ)، تحقيق: الشيخ بيت الله بيات، ومؤسسة النشر

الإسلامي، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ .

- في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق القاهرة وبيروت – ط ٣٥ (٢٠٠٥م).
- كتاب التعريفات لعلي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت ٨١٦هـ)، دار الكتب العلمية بيروت –لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ –١٩٨٣م.
- الكتاب (كتاب سيبويه) لأبي بشر بن عمر بن عثمان – تحقيق عبد السلام هارون – الهيئة المصرية العامة للكتاب (١٣٩٥هـ – ١٩٧٥م).
- كتاب الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، مكي بن أبي طالب القيسي (ت ٤٣٧هـ)، تحقيق د.محيي الدين رمضان، مؤسسة الرسالة، الطبعة الخامسة (١٤١٨ هـ – ١٩٩٧ م .
- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري (ت٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربي – بيروت– الطبعةالثالثة – ١٤٠٧ هـ.
- الكشف والبيان عن تفسير القرآن لأحمد بن إبراهيم الثعلبي (ت٤٢٧ هـ) تحقيق الإمام أبي محمد بن عاشور–دار إحياء التراث العربي –بيروت –لبنان –الطبعة الأولى ١٤٢٢(هـ – ٢٠٠٢م).
- الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية لأيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي (ت ١٠٩٤هـ) تحقيق: عدنان درويش – محمد المصري –مؤسسة الرسالة – بيروت.
- لسان العرب –ابن منظور الأنصارى الأفريقى المصرى –دار الكتب العلمية – بيروت لبنان – الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ /٢٠٠٢ م .
- اللسانيات الاجتماعية عند العرب، هادي نهر، دار الأمل للنشر والتوزيع، الأردن، الطبعة اللأولى ١١٩٩٨م .

- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (ت ٥٤٢هـ)، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى – ١٤٢٢ هـ.
- مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع لابن خالويه، مكتبة المتنبي.
- مدخل إلى علم اللغة د محمد حسن عبد العزيز، دار الفكر العربي، الطبعة الأولى ٢٠٠٠م .
- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم للإمام مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت٢٦١هـ) تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي: دار إحياء التراث العربي.
- المصباح المنير لأحمد بن محمد بن علي الفيومي– دار الحديث –القاهرة ١٤٢٤هـ– ٢٠٠٣م.
- معالم التنزيل في تفسير القرآن – تفسير البغوي لأبي محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (ت٥١٠هـ) تحقيق: عبد الرزاق المهدي – دار إحياء التراث العربي –بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ .
- معاني الأبنية في العربية، فاضل صالح السامرائي، دار عمارللطباعة والنشر، الطبعة الثانية (١٤٢٨هـ – ٢٠٠٧ م) .
- معاني القرآن وإعرابه للزجاج – تحقيق عبد الجليل عبده شلبى –عالم الكتب بيروت –الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ– ١٩٨٨م.
- معاني النحو، د. فاضل صالح السامرائي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع – الأردن، الطبعة الأولى، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م.

- المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم د. محمدحسن حسن جبل، مكتبةالآداب – القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠١٠ م.
- معجم ديوان الأدب، أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم بن الحسين الفارابي، (ت ٣٥٠هـ)، تحقيق: دكتور أحمد مختار عمر، مراجعة: دكتور إبراهيم أنيس، مؤسسة دار الشعب، القاهرة، ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣ م.
- المعجم الكبير – أبو القاسم الطبراني(ت٢٦٠ هـ) تحقيق: فريق من الباحثين بإشراف وعناية: د/ سعد بن عبد الله الحميد ود/ خالد بن عبد الرحمن الجريسي الطبعة الأولى: ١٤٢٧هـ – ٢٠٠٦ م.
- معجم لغة الفقهاء محمد رواس قلعجي – حامد صادق قنيبي، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع الطبعة: الثانية، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م
- معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، تحقيق أ. د محمد إبراهيم عبادة، مكتبة الآداب – القاهرة / مصر، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٤ م.
- معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت: ٣٩٥هـ)تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.
- المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني –مكتبةومطبعة مصطفى البابي الحلبي –١٣٨١هـ–١٩٦١م.
- النشر في القراءات العشر: شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (ت: ٨٣٣هـ)تحقيق: علي محمد الضباع (ت ١٣٨٠هـ).
- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور لإبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (ت ٨٨٥هـ)، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

- النَّظْمُ المُسْتَعْذَبُ فِي تفْسِير غريبِ أَلْفَاظِ المهَذّبِ، محمد بن أحمد بن محمد بن سليمان بن بطال الركبي، أبو عبد الله، المعروف ببطال (ت: ٦٣٣هـ) دراسة وتحقيق وتعليق: د. مصطفى عبد الحفيظ سَالِم، المكتبة التجارية، مكة المكرمة، ١٩٨٨ م (جزء ١)، ١٩٩١ م (جزء ٢) .
- النكت والعيون، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (ت ٤٥٠هـ)، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان .
- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ) تحقيق عبد الحميد هنداوي، المكتبة التوفيقية – مصر.

References

- *Irshad Al-Akl As-Salim li Mazaya Al-Kitab Al-Karim*, by Abu As-Saud Al-Emadi Muhammad , Dar Ihyaa At-Turath Al-Arabi – Beirut.
- *Iraab Al-Quran wa Bayanah*, Muhy Ad-Deen bin Ahmed Mustafa Darwish , (Dar Ibn Kathir - Damascus - Beirut), Fourth Edition, 1415AH
- *Anwar At-Tanzil wa Asrar At-Taweel*, Nasser Ad-Din Abu Saeed Al-Baydawi , Dar Ihyaa Al-Turath Al-Arabi – Beirut, First Edition - 1418AH.
- *Taj Al-Arous min Jawaher Al-Qamous*, Az-Zubaydi, - Dar al-Hidāyah.
- *At-Tahrir Wa At-Tanwir*, Ibin Ashour At-Tunisi. Ad-Dar At-Tunisia Li Al-Nashr – Tunisia -1984.
- *Tafsir An-Nasfi, Madarek At-Taweel wa Haqaeq At-Tanzil*, An-Nasafi, Dar Al-Kalem At-Tayeb, Beirut, 1419AH/1998AD.
- *Lisan Al-Arab* - Ibn Manzoor - Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah - Beirut Lebanon - First Edition 1424AH/2002AD

فهرس الموضوعات

م	الموضوع
١	الملخص
٢	مقدمة
٣	التمهيد: التعريف بخُلُق التواضع، وعلم اللغة الاجتماعي
٤	المبحث الأول: من الآيات الدالة هلى حث النبي – صلى الله عليه وسلم – على خلق التواضع
٥	المبحث الثاني: من الآيات الدالة على حث المؤمنين على خُلُق التواضع مع غيرهم من أفراد المجتمع
٦	المبحث الثالث: من الآيات الدالة على حث الأبناء على التواضع
٧	الخاتمة
١٢	ثبت المصادر والمراجع
١٣	فهرس الموضوعات